

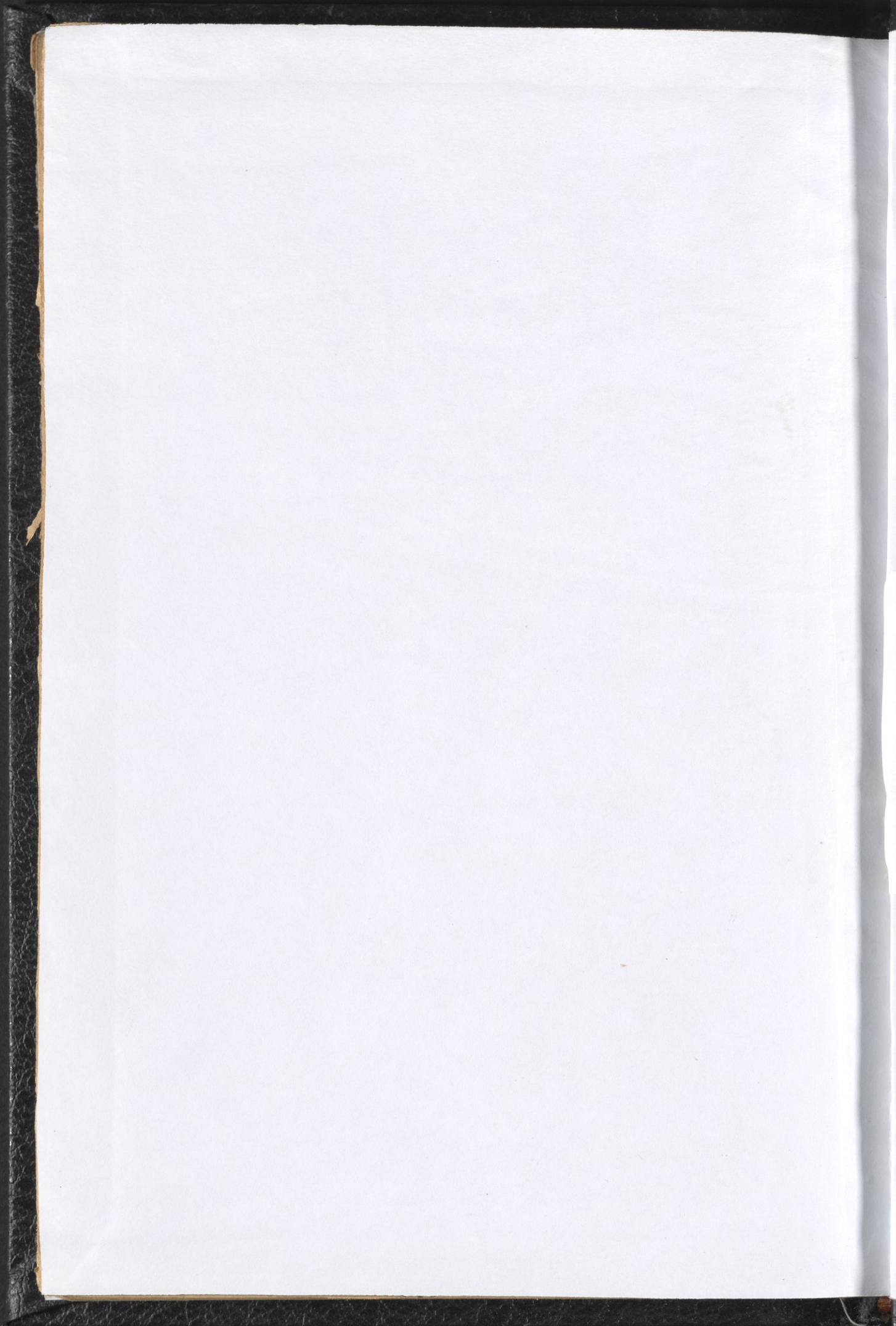
AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY

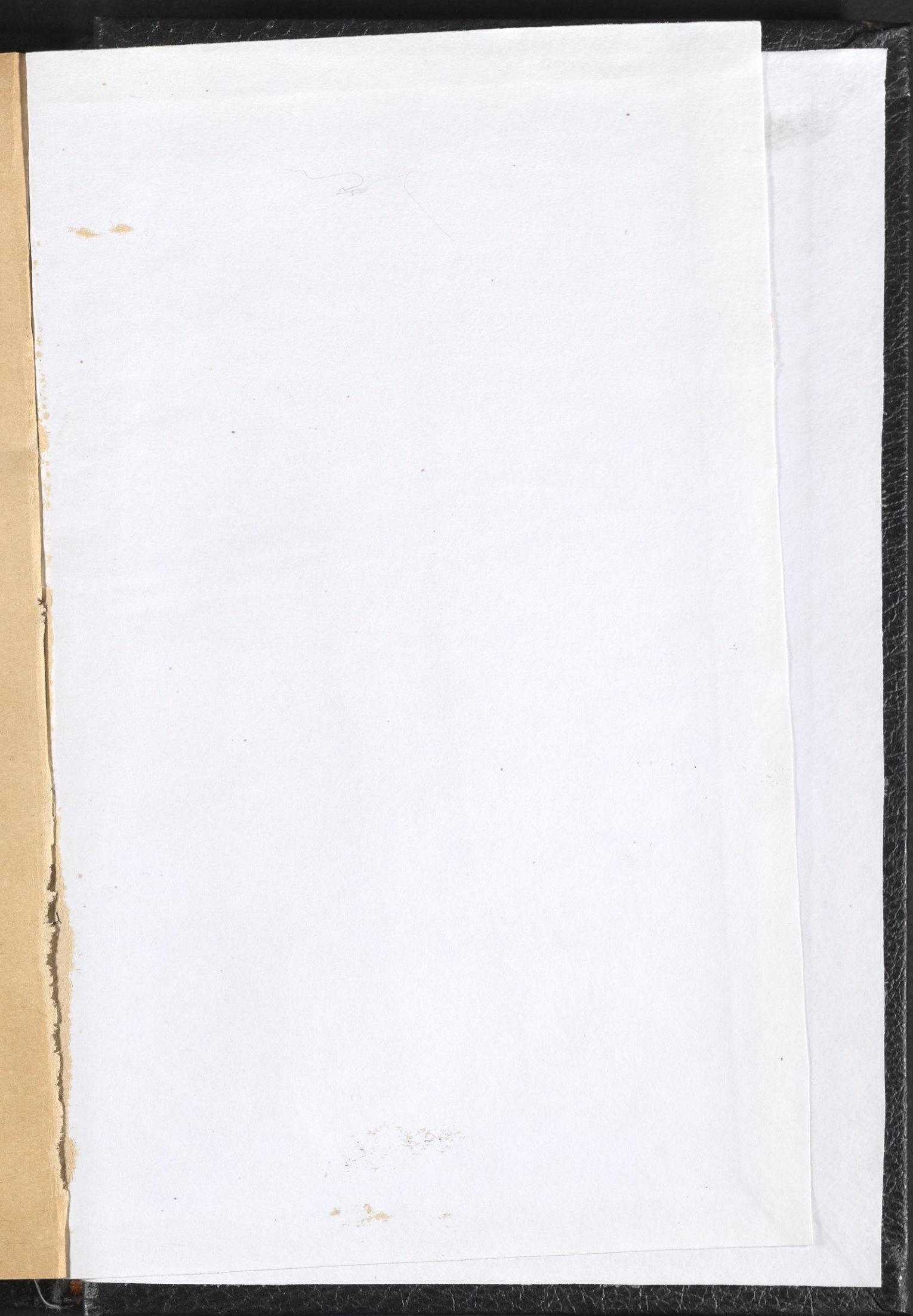


3 8534 01605 0050

140
12
= K
19







المسألة

بين المايضة والحاضر

بقلم

الأستاذ محمود غيرت

بسكرتارية مجلس الشيوخ

عنيت بطبعه ونشره

إدارة مجد الأضياء بمصر

سنة ١٩٢٨

مطبعة اشرف شاعر كلونيك لصاحبها اكي زرق

HCP

1216

K4X

1928

OCLC
60498115

B 12125349
13422443

٨١٤, ٦

خ . ٢٠ م

ان التي تهز السرير بيمينها تهز العالم بشمالها (روسو)

ان اليوم الذي لا نرتكز عنده على مكارم الاخلاق نخفر فيه بيننا
وبين الدين هوة عميقة لان الرجل الذي يحترم دينه لا يدوس بقدمه على
القضية أما اذا كان كاذبا قاسيا فلا أدري كيف يطمع في رحمة الله
(غاندي)

يقولون لنا انكم لا تستطيعون أن تصلوا الى الكمال التام . نعم .
ولكن ذلك لا يمنعنا من أن نعمل لنصل الى الكمال الممكن
(سعد زغلول)

العفاف كالعدة اذا لم يجد ما اعتاده من طعام الزوجية الطاهر فقد
ينصرف الى غيره من خيث الطعام (المؤلف)

٧٣٩٧٧

الى الاسرة المصرية الكريمة

لقد أصبحنا نرى كل يوم حجراً جديداً يسقط من ذلك البنيان
القديم الذي كان يحول بين السيدة المصرية وبين أمنيتها من الحرية والرقى
وقد كانت تلك الاحجار في سقوطها تنزلق انزلاقاً هادئاً ناعماً لم
يزعج أسمعنا ولكنه أزعج نفوسنا وخواطرننا وقد يبلغ الصوت أحياناً
قلب الانسان قبل أن يصل الى سمعه .

أزعجنا لأننا رأينا مكان هذا البناء الذي قام على سلطان الأوهام
والخرافات بناء آخر ينذر بخطر وييل

وعندئذ طرقت اذاننا صرخة شديدة هزت أوتار نفوسنا هزاً وما كانت
غير صرخة الفضيلة تخرج من فجوات هذا البناء الجديد
نعم أن الأمر لم يعد بخاف على أحد منا فلا معنى لأن نكذب نفوسنا
أو نخدع أبصارنا وفي كل يوم نرى أثر الافلاس الخلقى يظهر كالقرحة
الدائمة في وجه هدوئنا وسكينتنا ويمرح بيننا في ثوب كان لا يضم غير
الطهارة والصون فاذا به لا يتسع لغير الرذيلة

لقد كان حالمًا شبيهاً ذلك الحلم الذي وقفت آمالنا منه عند السيدة المصرية
نراها تاجاً وهاجاً يزين مفرق حياتنا واكليلاً من أغصان الازاهير النضرة
نشم فيه عبق الفضل وعطر الأخلاق ولكنه لم يكن الا كغيره من الأحلام
استيقظنا بعده عند ذلك التاج فاذا هو قيد وعند نور تلك الحرية فاذا بها
ظلمة حالكة

ان الدار الشرقية كادت تقهر من أسباب زينتها وحياتها وقد عرفت
الريذة كيف تهتدي الى طريق بابها . وما كانت تلك الدار الا الوطن الصغير
ولا تلك الاوطان الصغيرة الا اجزاء وطننا الذي تهالك في سبيل اكرامه
واستقلاله فاذا لم يكن بينها وبين بعضها صلة قوية من طهارة الاخلاق انقرط
عقدها وتداعى هذا البناء الشامخ

ان الفتاة المصرية زينة بيتها حتى لقد بلغ من فخر القروي بابتنته ان اطلق
عليها اسم « ست الدار » وربما كان لهذه التسمية نصيب كبير من الواقع
فنحن نعلم ان الفلاحة هي عماد البيت تقوم بكل الشؤون الخاصة به بل انها
تتخطاها فتشارك زوجها في نفس عمله به أو بالحقل وكثيراً ما رأينا القرويات
عاملات مع أزواجهن في ضرب الطوب وتشيد البيوت وفي ادارة الطمبور
ماهرات في عمل المقاطف وصنع السلال وأواني الآجر . على ان الطبيعة
الحكيمة قضت بأن يكون لكل من الرجل والمرأة عمل خاص واختصاص
محدد حتى يسهل عليهما حمل العبء الثقيل الذي وضعت على اكتافهما
تكاليف الحياة

وليس البيت في الحقيقة غير مملكة صغيرة للزوجة تعمل في دائرته
على ما يكفل حسن النظام والراحة والسلام ويعمل زوجها بعيداً عنه ليدفع
عنه وعن زوجته شر الفاقة وهكذا يعيشان عيشة ناعمة هادئة في ظل
الهناء والسعادة

انني كثيراً ما أرى المتحضرين حين يذكرون الفلاح يتألمون له
ويتوجعون لحاله لأنه يسكن أحقر البيوت ويتناول دنيء الغذاء غير كد

النهار تحت حرارة الشمس المحرقة . ولو أنهم علموا انه اهنأ منهم حالا
وأنعم بالاحسدوه

ان الفلاح ريب الطبيعة يعيش في احضانها بين هوائها الطلق وتحت
شمسها المنعشة لا يأكل غير بسيط الطعام فلا يؤذي معدته ويدأب على
العمل فلا يضعف جسمه ويندر ان يتطرق اليه المرض ورثته تستنشقان
نقي الهواء والشمس من فوقه ترسل اليه أشعتها الدافئة فكأنه تحت رشاشه
يتدفق من مسالكها النور وفوق هذا بعده عن متاعب المدنية وهمومها

أما المصرية سواء في الثغور أو العاصمة أو المدن فانها تكاد الآن
تكون صورة أخرى غير هذه الصورة . انصرفت عن البيت الى خارجه
فأصبح مقامها فيه استثناء وبعدها عنه بالنهار أو الليل قاعدة ونقضت عن
كاهلها عبء المسؤولية في دارها فلم تعد زوجة الا لتكون زينة ومتاعا . وما
بمثل هذا تصلح العائلة لتكون مدرسة الوقت ومستودع الرجال في المستقبل

سأل مرة أحد سفراء الفرس زوجة ليونيداس عن سبب اكرام
الأغريق نساءهم فقالت لاننا عرفنا كيف نخلق الرجال . وفي الواقع ليس
الغرض أن تكون الأم ولودا ولكن الغرض أن تلد رجالا عاملين لأنه
لا يكفي ان ينزع الولد اللبن بل يجب على أمه أيضا ان تعهده بالتربية
الصحيحة حتى يكون فيما بعد لاهله ولوطنه ذخرا وهكذا كان يقول نابليون
« ان مستقبل الأبناء من عمل امهاتهم »

ولكن الذنب في ذلك كله على المصرية أولا وقد دب فيها الضعف
وفت في عزمها الانحلال حين اخذ بلبها بريق المدنية واغراها جزره جرفها

مده فلم تعد تلك الفتاة الصبوحه الحية شمس الاسرة وأنس الزوج وزينة
الاهل ونخر الأيام « وست الدار »

على أن أبويها وزوجها مسئولون أيضا معها فيما آلت اليه من سوء
الحال مسئولية ربما كان سببها الجهل او عدم اليقظة أو التفريط او الفساد
ولا سيما بالنسبة للزوج وهو اولى الناس بأن لا يفتح عيني زوجته الا على
صورة زاهية من محامد الصفات واحترام الواجب

نعم ان تطور الامم عند انتقالها من حالة الى أخرى من حالات الاجتماع
قد يجر الى مثل هذا الاضطراب ولكن ماذا يمنعنا من التنبيه اليه في هذا
الوقت العصيب حتى اذا لم تتدارك خطره اوقفنا على الاقل سيره

هذا الذي دعاني الى تقديم هذه العجالة الصغيرة الى الاسرة المصرية
الكريمة لتأخذ بيد أختها التي دفعها سوء الحظ ونزق الشباب الى طريق
سيئات المدنية الحديثة لتحذرهما وتقر منها وما كان مدادي علم الله وأنا
اكتبها الا حسن القصد والخدمة العامة فان كنت أصبت فحسبي اني قمت
بواجب على نحو الامة التي انا فرد منها وان كنت أخطأت فمن ذا الذي
لم يقع في الخطأ والله يتولانا جميعا بالهداية

محمود خيرت

شجاعة الرأى

العادات وتباينها — فضل الشرق قديما — تأثير المدنية الحديثة على عاداته
— قائم أمين

للشرق عادات وتقاليد لا تتناسق مع عادات الغرب وتقاليده فلسكل
منهما طابع خاص وعقل مستقل بسبب ما بينهما من التفاوت في المذاهب
واللغة وأسلوب العيش والمناخ

وكل أمة لا تنظر الى عاداتها الا بعين الرضى ولذلك لا تكون دائما
معصومة عن النقائص ويظهر ذلك اذا رجعنا بها الى حالة بساطتها الأولى
وجردناها من تعقد المدينيات المتعاقبة وجعلنا مقياسنا فيها طهارة النفس
ومكارم الأخلاق

ولا ينكر أحد ما للشرق قديما من الفضل بسبب ما كان عليه أهله
من شرف الخصال وما كان لنظمهم من البساطة الوافية بالغرض . كانت
أخلاقهم رضية تسدي المعروف لذويه وتكرم الضيفان وتحمى الجوار .
يتسامحون في بيع نفوسهم رخيصة انتصافاً للمظلوم من الظالم وغسلا للعار
ودفاعا عن الوطن . زاهدين في زخرف الحياة قانعين بالصبر وحسن الجزاء
عند الله ما دام أن شعارهم : اعمل لا خرتك كأنك تموت غداً واعمل لدنياك
كأنك تعيش ابدا

ولكن تلك الحياة السعيدة انهار بنيانها فزالت وأشرفت على الزوال
وقد تبدلنا من حياتنا الأولى حياة أخرى لا تتفق مع عاداتنا ونظمنا ومناخنا
حين بهرنا بريق المدنية وأخذ طلاؤها باللبابنا فخرقنا تيارها

نعم لقد اسدات على ابصارنا من قشور زخرفها غشاوة كثيفة أصبحت
عيوننا عندها في عمى عن حقيقة الجمال واسماعنا في صمم من صوت الحقيقة
وساعد على ذلك خلو نفوسنا من الخبث واستسلامها لمطلق الثقة وايضا
ما امتاز به اهل الغرب من المقدرة على تخدير العقول واستدراجها الى ما
أرادوا واضمروا حتى زحزحونا عن السبيل السوي الذي كان عليه اسلافنا
فنفضنا ايدينا من مدنيتهم التي عطر ارجها جو الأجيال الغابرة وقد كانوا
هداة الامم واساتذة الشعوب

ومما يؤسف له ان مدنية الغرب تغلغت في كل شيء منا فحما تألقها
البسام مابقي لنا من ذلك الميراث النبيل ومن حسنات مدنية اسلافنا المزدهرة
وهكذا صرنا الى حال يتقزز منها رفاتهم في قبورهم وقد افسدنا ما اصلحوا
وهدمنا ما شيدوا وأضعنا ما ادخروا

ولقد ادرك ذلك عقلاء الأمة ومفكروها فاضطربوا وتيار تلك
المدنية الحديثة الجارف يسوقها في منحدره سوقا ولسكنهم ظلوا مع ذلك
جامدين لا يجرون خلف وسائل صده او ايقافه مع ان التخلي عن محاربة
الفساد جرم والسكوت على الاقل في مقام التنبيه الى خطره نكر حتى قام

المصلح الكبير المرحوم قاسم أمين^(١) قومته التي لا تنساها فكان أول شرقي جريء في الحق جريء على الباطل وقف نفسه وقامه على معالجة هذا التيار ولقد قام بعض الناس وقتئذ في وجهه فكانوا كذلك الدب الجاهل وسلاحهم كما هو شأنهم دائماً الدين والدين منهم بريء . أما هو فوقف في ميدان الإصلاح ووقفه المصارع الشجاع وثبت على ما وهب له نفسه فكان في غرضه مصلحاً نزيهاً وفي حملتهم عليه حليماً حكيماً

وربما كان مرض القرن الذي نعيش فيه هو فقدان الشجاعة الفكرية والتعاس عن رفع لواء الرأي عالياً يرفرف فوق سماء الجمود وتمجيد القديم على أنه ما أراد فيما ذهب إليه إلا أن يرجع بالمرأة المصرية الى دائرة الحرية التي خولتها اياها شريعتنا وأن يضرب بضربة قاضية تلك السلاسل التي وضعتها في عنقها الخرافات والاهام

(١) أن موضوع المرأة وتحريرها من الموضوعات الهامة تناوله قبل قاسم أمين بفرنسا الاستاذ ليون ريشيه ووضع فيه بحثاً مستفيضاً اكبره فيكتور هوجو فأرسل اليه بالكلمة الآتية :

سيدي المحترم

ما الزم شجاعة الرأي في موقف الحث على العدل نحو الضعيف . وما رأيت مخلوقاً بيننا أضعف من المرأة وقد سلبتها نواويسنا الاجتماعية كل ما وهبتها اياه الطبيعة من الحقوق حتى أصبح نظامنا غير متوازن

نعم ان في قوانيننا فراغاً كبيراً يجب ان نملأه بالتشريع لمصلحة المرأة لأنه اقتصر على ما يتعلق بحقوق الرجل وحده فأصبحت المرأة كالقاصر وكالعبد الرقيق . ومما لا يمكن انكاره الاساس الواهي الذي اتخذ قاعدة لتربيتها فساءت حالها وساءت حال زوجها معها حتى أصبح واجبا النظر في أمر اصلاحها وتحريرها لأنها دعامة المدينة والحق والنور ولهذا كان كتابك فجر الكتب في هذا الموضوع الخطير

(م — ٢)

ولست أدري لماذا لا يتقدم صاحب الرأي الى الناس برأيه صريحاً
صادقاً مادام يعتقد انه صواب بدلاً من ان يخفق رأيه بيده ويحول بين
اسلحة خواطره وبين ظهورها في ميدان الوزن والاعتبار

اما اذا كان سبب انكماشه خوفاً من جرح عواطف الناس وحرصه
على احترام مشاعرهم فأفهم ايضاً مطالب اليهم ذلك نحوه ونحو سواه . على
أن مجرد الأدلاء بالرأي لا خطر منه مادام أنه سيتناوله الأخذ والرد ويصهره
التحريض والبحث لأن الحقيقة لا يتطير الصدأ من فوقها الا باصطدام
الخواطر واحتكاك الأفكار . ولذلك كان التأخر عن الجهر بها إنما لأن حبسها
باعتبارها حقاً يشجع الناس على استمرارهم في اتباع الباطل فتدفن الحقائق

ولكن قاسم أمين ابى سلطان ضميره الا هذه الشجاعة فسار في طريقه
غير مبال ولا هيب تاركاً الناس احراراً في ظنونهم يقولون ما يشتهون
وينفقون من سموم احقادهم ما يشاءون . قانعاً بفضيلة الصراحة والبعد عن
مزلق الرياء والنفاق والأفلات من حكم النفس وعذاب الضمير

على أنه لم ير رفع الحجاب الا مع التحفظ وشعر بقصر عمره مع
ذلك التيار الذي كان شديد التدفق حتى أصبح من العسير امساكه أو منعه
فأخذ يستسرع مواطنيه في تعهد المرأة بالتربية الصحيحة حتى تنهياً لخوض
اللجة التي تنتظرها

ومن حسن حظ مصر أن الأفكار أخذت تتطور تطوراً جريئاً المفكرين
على اعلان افكارهم مهما نالهم على اثر ذلك من التحقير لأنهم مجاهدون
يحاربون في صف الحقيقة فاذا انتصروا ابتسمت الشمس في سماء الأفكار

الصحيحة وإذا غلبوا على أمرهم بسلاح الجلود والجهل والاستبداد سقطوا
في ميدان الجهاد شجعان شهداء وكانوا من الخالدين

على أن لكل مجتهد أسوة بمن سبقوا من الرسل المكرمين والعلماء
المفكرين وجباة المكتشفين والمخترعين فكم ذاقوا من صنوف العذاب
والأذى بسبب ما كان منتشراً حولهم من أجواء الجهل وظلمات الأحقاد
ولكن ذلك لم يقل من إقدامهم ولا أطفأ من شعلة قلوبهم وخواطيرهم
فاستمروا في طريقهم ينشرون أنوار الهداية بين الضالين ويكشفون عن
حقائق العلم وأسرار السكون للجاهلين

فهل لو لم يكن هؤلاء البررة المجاهدون كنا نرتع فيما نحن نرتع فيه
الآن من حسنات الهداية ونعماء العلم ؟

ولقد كان غاليليه الطلياني من أكبر علماء القرن السادس عشر في
الطبيعة والرياضيات والفلك وكان الجهر بالأفكار الجديدة في القرون
الوسطى يجر على ذئبها أكبر الأخطار ومحاكم التفتيش منتشرة في كل مكان
ولكنه مع ذلك لم يخش أن يعلن للناس رأيه من أن الأرض تدور حول
نفسها كل يوم وحول الشمس كل سنة . ولقد طلبت إليه محكمة من تلك
المحاكم وهي مشهورة سيف انتقامها فوق رأسه أن يحلف بأن رأيه
فاسد ! ففعل ولكنه عز عليه اضطهاد الحقيقة إلى هذا الحد فتمتم وهو
خارج : « انها مع ذلك تدور »

عودة الى الحجاب

العوامل المؤثرة في الحجاب -- الحجاب القديم والحديث -- الحرب
بين المحافظين والمجددين -- هن لباس لكم -- قطعة من الشعر -- ما فعلت
الأزياء -- احتضار الحجاب

ربما فهم القارئ أنني أريد أن أعود بالسيدات الى الحجاب (١) وإنما
أردت أن أعود الى الكلام عليه .

وما كان الحجاب لذاته ليستوقفني هنا لحظة اسوق الكلام فيها عنه
وهو كالراية خرقه لولا المعنى الذي قصد منها لما كان لها من قيمة . فالحجاب
كان رمزاً لحياء المرأة كما أن الراية لا تزال رمزاً لحياة الأمم فكم راية حين
اعتدي عليها اثار حرباً عواناً وكم من يدامتد الى حجاب سيدة اورثت
صاحبها حسرة وندماً حتى أن هوجو في مأساة لو كريت بورجيا قال لمن
حاول انتزاع حجابها : « حذار أن تمد يدك اليه فإنه مقدس كوجه الرجل »

على أن للحجاب ماضياً كاد يذهب مع الماضي وحاضراً هو مثار حرب
شعواء الآن بين انصار القديم وعشاق الجديد

واذا صح أن أسمى هذه الحالة تبدلاً جاز لي القول بأن عهد الحجاب
بين وقتنا الحاضر والماضي كان في كل خطواته متأثراً بعاملين من تطور
المدنية ومن السفور في الأصل وما كان ابونا آدم كاسياً ولا امنا حواء مقنعة
حتى أن اهل القرى وافراد الطبقات الدنيا في الأمصار كل نسائهم سوافر

(١) غرضنا من الحجاب هنا النقاب

ولقد تحررت بقولي تبدل الحجاب لأنه لا يزال في الحقيقة قائما. ولكنني قصدته من حيث شكله لأن الذي يرجع الى الحجاب الشرعي ينكر الحجاب الحاضر والذي ينظر الى الحجاب الحالي يحكم بأن المرأة أصبحت بغير حجاب ان الحجاب في الازمان الأولى كان اشبه بجنباء محكم الاطراف لا يترك للنظر سبيلا الى وجه المرأة. اما ما نراه الآن فما هو بحجاب بحقيقة معناه لأنه أصبح من بعض وسائل التحلى والزينة

ومن اعجب الاشياء أن نساء العهد الغابر على بعدهن من ترف المدنية كن يسترن وجوههن بذلك الحجاب الكشيف وأن نساء العهد الحاضر مع ما يضعنه على وجوههن من الاصباغ والمساحيق والأعطار لا يستترن الا خلف حجاب أرق من النسيم

وربما كانت طبيعة المرأة من اغتباطها بذكر الناس محاسنها هي التي دفعتها الى استرداد حقها فعمدت الى التبرقع بمثل هذا الحجاب .

ولكنها بمثل هذا أصبحت فتنة الناس حتى قامت تلك الحرب التي أشرنا اليها بين المحافظين والمجددين

واذا نظرنا الى وجهة كل منهما وجدنا عند كل شفيعا لأن احترام حق المرأة من التمتع بنعيم الحرية واجب بحكم الطبيعة وبحكم الشرائع حتى أصبحت المرأة الغربية نزاحم الرجل في كل شيء ولأن التغالي في هذا الحق والمرأة المصرية لم تنضج بعد ربما جر على اخلاقها كثيرا من الاخطار

على ان المرأة في الواقع خير مكافأة للرجل الذي يقطع بهاره بالعمل فهو بعد سباحته كل يوم في لجج الحياة المرتطمة بحاجة الى ساحل يرتمي عنده ليتذوق شيئا من نعيم الراحة فالمرأة من هذه الناحية كأس صافية ينهل الزوج من

حببها افأويق الحب الخالص السليم فينسى عند شفيتها ما أصابه من ألم الك
ويجد عند صدرها اللين الدافئ حتى يلهيه عن هموم النهار

ولكن المرأة لأسباب شتى تعدت الحد اللائق بحريتها وعكست
الغرض المقصود من هذه الحرية فاصبحت لا تتزين ولا تتطيب إلا ساعة
خروجها كأنما الطرقات ومحال البيع والشراء والتزاور بحاجة إلى معارض
متحركة من معارض الحسن والزينة. أما لغير هذه الأسباب فأنها تقبع في
عقر بيتها على حالتها الطبيعية المهمة حتى ليخيل إلى أن الزوج المسكين يود لو أنها
ترتدي أحد الحجابين القديم تستر به عنه أهملها أو الجديد تظهر له به في
زيتها وهو أحق من غيره بذلك

وربما كان ذلك أكبر حجة عند انصار الحجاب حتى أنني مع احترامي
لحرية السيدات انتقلت مرة إلى صفهم بهذا الشعر

ما للفتاة تغيرت أخلاقها	جنت على الأعقاب والأسلاف
وجنت على الماضي الكريم وسمعة	طاف الزمان بها بكل مطاف
خذت إلى شمس الحياة ترف في	أكنافها تحت الأديم الصافي
وصبت إلى يوم يفك أسرارها	فيه وقد عدته يوم زفاف
فتهللت منا النفوس وقد غدت	ترتد حصتها من الانصاف
متفائلين وليس في حسابنا	أن يستحيل الوعد للاخلاف
متوسمين الخير في حركاتها	عند الغد المتباعد الاطراف
والأم مدرسة النفوس اذا غدت	اولادها بمحامد الاوصاف
لكن لسوء الحظ طاش بسهمها	نزع الشباب وخلة الاسراف
ماذا أقول وكما خرجت نرى	غصنا تثني لين الأعطاف

قد أحكمت منه الازار فشفت عن
والوجه من اصباغه في برقع
واللحظ يرسل في الطريق تحية
والناس من لحم يحنّ ومن دم
ما دركت معنى الحياة فأصبحت
والزهر يتقصد وهو فوق غصونه
اعضاءها ومرجرج الازداف
جاءت عليه ببرقع شفاف
لناس خائفة لكل عنف
وعواطف عند الشباب خفاف
اولى من المجروح بالأسعاف
والدر يطاب وهو في الاصداف

على أن سيل المدنية وسلطان الطبيعة القوي أخذ كلاهما بمخنق هذه العادة
في مع مالها من الاثر في النفوس حتى اصبح السيدات في الآونة الحاضرة بعد
ما غيرن وجه النقاب يقلبن الحجاب على كل وجوهه فمن خمار مصري الى آخر
مكي تركي الى معطف اغرنيكي كلها متعددة الازياء والاشكال تظهر أجسامهن من
خلالها على اجهل هندام . وهذا غير الاشرطة المتدلية كأنها حمائل سيوفها
القامات .

أن المريض في ساعته الاخيرة لا يفعل غير ذلك فهو يسكن تارة
ويتحرك تارة . يتلوى من جنب الى جنب . فتلك الحركات السريعة التي اخذ
يتخبط الحجاب فيها ماهي الا احتضار مؤذن بالزوال . وليس هذا بغريب
ولكل زمان دولة وحكم والعادة كما تكون في بقاء الحجاب لسبب اجتماعي
فقد تكون في زواله لسبب اجتماعي آخر .

بين الماضي والحاضر

البناء الشرقي — البيت الشرقي معمل مستقل — سيدة العصر الماضي —
رجال العصر الماضي — كرم الضيافة — الدين — الخدم — البناء الحديث —
الاجتماع في المنازل — انصراف الرجال الى الخارج — اسواق اللهو —
سبب من اسباب الفساد

ربما حسن الان بعد ما تقدم أن نسوق للقارىء صورة صحيحة من العهد
السالف ومثلها من العهد الحاضر حتى يمكنه من المقابلة بينهما ان يدرك الى أي
حد ضاعت آثار ذلك العهد المبكي وإلى أي حد سرى فينا سم المدنية في
العهد الذي أصبحنا فيه

كانت دورنا فيما مضى على الطراز الشرقي الانيق ذات افنية فسيحة
يتخللها في بعض الأحيان فساق جميلة وحدائق ناضرة يحيط بها من الخارج
سور عال .

وما كان يخلو بيت من مكان فسيح للضيفان مناضده بعرض جدرانه
التي كانت هي وباقي حيطان البيت مزينة بآي القرآن — وبعض الأحاديث
النبوية والحكم اذ كرم منها : « ادخلوها بسلام آمنين . توكلت على الله . أن الله
جميل يحب الجمال . عز من قنع وذلل من طمع . ايها الراحمون ارحموا من
في الارض يرحمكم من في السماء » مما كان كألسنة صامتة تدعونا كل يوم الى
النشاط والعمل والقناعة والرحمة .

وكان لكل منزل حمام مستوف شرائط الصحة وفرن مستكمل الاداة

وبئر لاستخراج الماء وأسطبل للدواب فكان البيت في الحقيقة مصنعا مستقلا يصرف ربه عن الخروج وحسبها ان تهيا لاهل المنزل ما يلزم لهم من الثياب والأشرف على غسلها ونشرها ثم طيها (وما عهد الجندرة ببيعيد) ثم تدير الخبز اليومي والطبخ واعداد المائدة وغير ذلك من الواجبات الكثيرة والبيت مملكة الزوجة

➤ نعم ان معارفها كانت قليلة فقلما كانت تقرأ أو تكتب أو تعزف ولكن مطالب المنزل مع ذلك كانت كافية لمضاعفة جهودها والقيام بأمور واجبها نحو نفسها ونحو زوجها وأولادها حتى انها كانت اذا خرجت ضلت الطرق وحتى بلغ من التفاخر بكمالها والتحدث باحتجابها أنها ما كانت تكشف عن وجهها أو جسمها لطيب ولو في أشد حالات المرض

اما الرجال فما كانوا يعرفون السهر خارج بيوتهم. يجتمعون كل ليلة عند أحدهم حول مائدة واحدة وسيا فارات الشاي والقهوة يسمع لغيلانها زفير لطيف ناعم وهي دائمة الاتقاد والقصبات الطويلة (الشبكات) لا ينقطع منها الدخان الشرقي لمن اعتاده والبخور ينتشر في جوانب المكان فيطهره ويعطره وهم يقطعون سهراتهم بالحديث الرقيق المنزه عن فحش القول فكانت قاعة اجتماعهم ملجأ أحسان وكرم وأدب وكان اجتماعهم سببا من أسباب الألفة والحب وهم على مقربة من ازواجهم مطمئنت عليهم ومطمئنين عليهم وكانت الضرورة القصوى وحدها هي التي تدعو السيدات الى الخروج لزيارة اقربائهن ولكن نادرا وقد لا يتكرر ذلك في السنة ولهذا ما كن بحاجة الى غير ملابس البيت يكفين على كل حال نقاب محتشم لا هو بالسميكة فيؤذي وجوههن ولا هو بالرقيق فيبين عن محاسنهن وخمار ربما شاركهن اعمارهن

أما الرجل فما كان يرتدي غير ذلك الثوب الشرقي الجميل القصفاض
الملائم لراحة أعضائه ومناخ بلده لا يزيد عن العمامة المهيبة والقفطان القطني
المتموج وتلك النعال الحمراء الزاهية

تلك كانت حياتهم قديما وما كان أسعد كل أسرة بها وما كان أجلبها
لسعادة المجموع وكل شيء من خيرات البلد وحاصلاتها يخرج من مصانعه
وتهيئه أيدي أبنائه وفي ذلك خير ضمان لنماء الثروة العامة وخير ضمان للناس
يحول بينهم وبين الفاقة

ومن حسنات الزمن الماضي تمسك أهله بالدين لأن الأديان تدعو كلها
إلى الخير وتغسل النفوس من أدران الفساد وتخمد نار الشهوة وتطهر الضمائر
بائعة على النشاط داعية إلى العمل طاردة عن الأجفان شهد اليأس محلة محله
فيها لذة الأمل وحلاوة الطمأنينة

وبمثل هذا خلصت نواياهم وصفت قلوبهم فتحابوا وتآلفوا متساعدين
متساندين

ولقد روى صديق لي من بقايا ذلك العهد أنه كان يجتمع عند لقيف من
رفاقه في منزل أحدهم ولكن واحدا منهم غاب ليلة فالتسوا له عذرا إلا أنه
طال احتجابه فجزعوا وقد ذهب بهم الظن إلى أنه مريض فعقدوا النية على
زيارته وأخيرا علموا أن سبب انقطاعه كارثة أصابته لأن دائنيه كانوا على
وشك بيع داره في دين لهم فلم يسعهم إلا أن تقاسموه ووفوه عنه بغير أن
يعلم وعند ذلك بكى محدثي فأبكاني وقد ذكرت ما يجري الآن تحت عيوننا
والولد يأخذ بحقه صكا على أبيه وكذلك الأب على ولده بل كثيرا ما دفعت

الشهوة الفاسدة والطمع ابا فقتل ولده وولدا فقتل اياه وأن من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم فاحذروهم

ومما لا أنساه خدام ذلك العهد — وكان الناس يحصلون عليهم من طريق
الشراء — ولكنهم مع ذلك ما كانوا ناقلين على حريتهم المسلوقة راضين
متفانين لأن مواليهم كانوا يعدونهم منهم يكرمونهم ويشفقون عليهم حتى
كانوا يدخلونهم في اوقافهم اسوة بابنائهم وذرائعهم

اما حياة العهد الحاضر فقد مسخت محاسن تلك الحياة الهادئة فلا تجد
في اكثر المنازل اسلوب مباني العهد الماضي وقد التصق الباب بالسلم فلم يعد
للضيافة مكان الا نادرا وصار الناس يجتمعون خارج بيوتهم وقد انتشرت
المخازن العامة وحمامات السوق والمطاعم ومشارب القهوة والخمر ودور الميسر
وأماكن اللهو انتشارا مخيفا حتى اضطرت الحكومة في رخصتها ان تحظر
على الخمارين فتح حوائطهم على مقربة من المساجد والمدارس
ولقد كان من أمر هذا التبدل أن هجر الناس بيوتهم الى تلك الدور
تسرق أزمانهم وتستنزف اموالهم وتعبث بأخلاقهم حتى أصبح كثير من
الفتيان الصغار يدخلون ويقبلون على مشارب الجمه ويخرجون عن الحد في
لباسهم وزينتهم في غير استحياء

وبينما الأزواج في لعبهم ولهوهم على ما سلف ترى نساءهم لا تذوق
اجفانهم غمضا مروعات منتظرات حتى اذا جاؤا وقد مضى أكثر الليل
اندفعوا الى أسرهم على أثر ما يكون قد نالههم من اعياء السهر أو تعب الشراب

وهكذا اوصدوا قلوبهم في وجوه نسائهم المسكينات وقد كانت محراب
حبيبن وقبلة آمالهن حتى اذا دام ذلك الحال أخذت الصلة التي تربطن بهن
في الفتور والذبول

ولكن الفراغ الذي يتركه من خلقه مثل هذا الحب البالى يتيسر في
الغالب لا شد منه لأن الهجر الذي يقتل حباً قديماً يخلق بدلاً منه حباً آخر
قوياً متقدماً كالريح تطفىء لهب الشمعة ولكنها تساعد على اشتعال النار

وما دام ان حمل التكاليف الملقى عليهن قد خف بعد أن صار الخبز يجلب
من السوق والماء والنور من الشركات وبعد أن انتشرت مخازن الأقمشة
ودور الخياطة فقد أصبحت السيدات بحاجة الى الخروج لقضاء حوائجن
والتزاور للشكوي وللأخذ والرد فيما لا ينفع من الحديث حتى انتهى الأمر
بأكثرهن الى الجرأة فالفساد . والعفاف كالمعدة اذا لم يجد ما اعتاده من طعام
لزوجية الطاهر فقد ينصرف الى غيره من خبيث الطعام .

كم زمان بكيت فيه فاما صرت في غيره بكيت عليه



العصر الجديد

لم تكن المرأة فيما مضى مستعمرة للرجل . ضرورة تعليم الفتيات سلاح المرأة الحفي . بين الباريسية والمصرية . الترام . أساليب التجار . النساء قوامون على الرجال . أيام الزيارة

لقد استعرضنا أدوار الزمن المنصرم وما كان له من التأثير في المرأة المصرية . ورأينا كيف انها كانت فيه خادمة بيتها أمينة على مصالح زوجها وأولادها ولكن مما يجب أن نعترف به أنها كانت أيضاً محرومة من نعمة التعليم والحرية

ولا نظن أنها كانت حبيسة دارها لأن أسلافنا نظروا إليها من ناحية واحدة هي ناحية استخدامها واستغلالها واتخذوها كمستعمرة لا كزوجة شريكة ولكن لأن اخلاق ذلك الزمان وعاداته كانت تقضي بذلك

على ان لكل زمان دولة فصرنا الى زمن من حسناته اتصال البلدان ببعضها وقد طوت سهولة المواصلات ما بينها من البعد وساعدت على ايقاظ النفوس الناعسة بنشر الافكار

وهكذا كتب لمصر ان تعترف مع المعترفين من بحر المدنية الحديثة فتبدلت الحال وأصبح ما كان في خبر كان حتى ليكفي أن نوازن بين امرأة العهد الحاضر وامرأة العهد الغابر لنذكر ما هناك من الفرق الكبير بين العهدين ولئن أسفت على العهد الماضي لحسناته التي أشرت اليها الا انني مع ذلك كنت انتظر اليوم الذي ينتشر فيه تعليم الفتيات فيقمن بحصتهن من سعادة

البيت لأن التي تدير حركته من طريق الاستقلال والعلم خير كثيراً من تلك التي تدير أموره من طريق الجهل والانكماش

ولقد كان من تأثير هذه المدينة السريع ان شعرت السيدة المصرية بالسلاح الخفي الذي مهرتها به الطبيعة واصداًته ظروف العادات الاولى وهو الجمال والرشاقة وقد كان لهما من قديم اله معبود فأخذت تعني بهذا المنجم الثمين وأخذت ترفع عنه ذلك الغطاء الثقيل الذي سترته به تلك العادات

أصبحت السيدة المصرية حرة طليقة فخطت خطوات واسعة في سبيل زينتها وتجميلها قبل ان تخطو هذه الخطوات في سبيل التهذيب والتعليم فكانت تلك الحرية سلاحاً ضاراً

واني لا أذكر ما نشرته مرة مجلة المطالعة للجميع (Lecture pour tous) الفرنسية عما تقطع به الباريسية يومها ولا يخرج عن ثلث النهار في الزينة وثلثه خارج البيت غير ما تقضيه من الليل في دور التمثيل وسواء وسواء أكان هذا صحيحاً أم مغالى فيه فإن المصرية المنعمة أصبحت تكاد لا تفعل غير ذلك

فقد يضطر زوجها الى الخروج صباحاً لعمله أو لغيره وهي لا تزال في سريرها حتى اذا استيقظت اخذت في زينتها وما أطولها ما بين تسوية شعرها المقصوص وكيه^(١) والاصطباغ والتعطر ثم تخرج وفي يدها غرفة زينتها المتنقلة (حقيبتها) تاركة امر منزلها الى خدمها

(١) اعتاد اغلب السيدات الآن ان يذهبن الى حلاق خاص لأصلاح شعورهن — راجع قطعة «الذكرى» في آخر هذا الباب —

وقد يكون الترام وسيلتها مع أنها اقدر على اكتراء عربية اوسيارة
فتقصد حجرة الدرجة الأولى المخصصة للرجال مع أن للسيدات مكانا خاصا
ولكنها لا تقبل عليها خشية الاختلاط بالطبقات الدنيا من اهل المدينة .
وهكذا تختلط بالرجال وقد يكونون من تلك الطبقات

ومن ألطف ما حدث مارواه صديق لي مرة . قال انه وجد الترام يوما
مزدحما فأسرع الى حجرة الدرجة الأولى فاذا بها مكتظة بالسيدات ورجلين
وكان مكان السيدات خاليا فقصده ولكن سرعان ما اتجه الكساري نحوه
صائحاً : هذه للسيدات يا افندي !

واذا أمّت السيدة بعد ذلك دور المتاجر الكبيرة استقبلها عند الباب
سرب من الخدم ينحنون أمامها ويتلففون معها ويصقلون عبارات الترحيب
والثناء على سمعها وهم يعلمون ان زمام المرأة في عينيها وأذنيها فلا تقع عيناها
الا على حركات أدب ولا تسمع أذناها غير عبارات احترام صاعدة الى
سواء المكان كما يصعد البخور الى قباب المعابد وعند ذلك تشعر بأن لها مقدارا
ومكانة فتخطر من بينهم الى حيث تبتاع ما تشاء

ولقد بلغ من اساليب التجار أن افرد بعضهم على ما يروى في حانوته
مكاناً خاصاً لاستراحة السيدات وقد أعدّ لهن فيه كل ما طاب ولد من
صنوف المرطبات والحلوى حتى انهن قد لا يدخلن هذه الدور الا لتذوق
طعم ذلك الأكرام وقد صرن يشعرن عندها بجو خاص يرفع من أقدارهن
ثم من هي السيدة التي يكون هذا شأنهم معها فتخرج بغير ان تشتري
شيئاً مهما كانت الحاجة اليه تافهة أو معدومة . وهكذا ملك الغرور النفوس

واختلت ميزانية البيوت وبمثل هذا عمرت هذه الدور حتى انه ليتوقف ربها
الكثير على هوس كثير من سيداتنا

وما دام هذا السبيل هو الوحيد الذي يحقق مثل هذا الكسب المستمر
وما دام أن طيش أولئك السيدات وغفلتهن وعبادتهن لمظاهر المدنية الفارغة
يدفعهن الى اشباع شهوة التقليد الأعمى المجرد عن الحكمة والاعتبار فقد
أخذ أولئك الناس يغروهن بشتى الأساليب ما بين نماذج يطوفون بها على
البيوت وتماثيل من الشمع يعرضونها في مقدمة حوانيتهم وهي في زي شرقي
يعدلون فيه من وقت لآخر كلما سنحت الفرصة وما عهد الأزياء التي انتشرت
على أثر اكتشاف قبر توت عنخ أمون ببعيد

ولقد كان من جراء هذا التطور الجديد ان سيدة العصر
الماضي التي كانت في حديثها وحركاتها وزيتها لا تلفت نظر زوجها أصبحت
الآن صورة أخرى من صور الحسن والرشاقة والخفر ولطف الحديث
الرنان الناعم حتى نبهت شهوة الزوج النائمة اليها وجعلته يزهو بها ويفتخر
فبلغ من أمره معها أن يرافقها أحيانا في الخارج وهي على تلك الصورة التي
سبق لنا وصفها بغير ان يخجل أو تستحي

وإذا كان مقام السيدة المصرية بلغ هذا الحد عند زوجها فكيف لا تحدثها
نفسها بالتسلط عليه . وهذا ما وقع لسوء الحظ فأصبح يتحاشى أغضاها ويتهالك
في رضاها وهكذا أصبح الأزواج ملوكا غير متوجين وأصبح النساء قوامين
على الرجال

ومن حسنات المدنية الجديدة أيام الزيارة على غير ما كان مألوفاً عندنا .
وإذا سأل الزوج امرأته عن هذه البدعة المستحدثة أجابته أنها نظام حسن

أقل ما فيه الاقتصاد في الزمن ما دام ان صاحباتها يزرنها مرة في الأسبوع في يوم محدود . ولكنها مع ذلك تخرج كل يوم لأن لكل واحدة يوماً كيومها حتى كاد يتمنى الزوج لو ان له هو ايضاً يوماً تزوره امرأته فيه ... وإذا كان هنالك سبب مزعج من اسباب العدوى فإنه ذلك اليوم الذي تتبارى فيه الأزياء والخلاعة والأحاديث الخاصة .

على ان اسباب الفساد اكثر من ان يحصيها عد منها إلا ناشيد المنتشرة الآن سواء بطريق الإلقاء او بطريق الآلات الحاكية (ومنها الرقص الغربي الذي انتشر وذاع ومنتكلم عنهما في باين خاصين) ومنها التمثيل الخليع وقد ضجج الناس منه وكتبت الصحف اليومية وغيرها غير مرة عنه وكذلك دور السينما لأنها في بعض الأحيان تمثل قصصاً خاصة تضطر الى التنبيه عنها وتحذير السيدات والعذارى من حضورها ومع ذلك فأنهن لا يمتنعن عن مشاهدتها لأن مثل هذا المنع انما هو حض اكثر منه نصيح يدفع النفوس بالعكس ما دام ان الشيء الممنوع محبوب عادة . ولا تخرج حجة الزائرات عن ان ما يمثل مهمل كان من امره فإنه لن يؤثر في نفوس الطاهرات الشريفات وقد فاتهم ان النفس البشرية ضعيفة وأن سلطان العقل لا يقوى دائماً على سلطان القلوب الجبار

الذكرى

وكم توسلت اليها أن تبقي عليه .

ولسكتني حين دخلت عليها كان قد نفذ السهم ووقع المحذور وهي ممسكة
بفضلة شعرها الطويل الجميل ودمعها كالؤلؤ ينحدر فوق خديها الموردين .
وعند ذلك تملكني البكاء كما غلب عليّ الضحك ذلك الضحك العصبي
الذي تقذف به ثورة النفس المضطربة المعذبة فأدارت عينيها الى جهتي ثم
عادت الى استغراقها السابق فسألنها : ماذا يبكيك بعد أن مضت يدك
الناعماتان فيه وذهبتا بحسنه . وما الفرق بينك وبين القصاب يسبح بيده
اليمني ويذبح بالآخرى ؟ فصاحت أتعني أنني مثله منافقة ؟ قلت حاشا . ولكن
علام هذه الدموع وقد كان في يدك حبسها . وماذا ينفع التفكير في هذه
الخصلة بعد أن قسوت عليها وعبثت بها .

وعند ذلك ارتمت فرق مقعد قريب والخصلة تحتضر بين يديها
وانشأت تقول :

ما كان في مقدوري أن أمتنع وهذا حكم الجديد آخذ بمخنتي مسلول
سيفه فوق عنقي . أنني لا أنكر أن هذه الخصلة كانت زينتي وكانت مستودع
ذكرياتي وأسراري . وكانت ملمس قبلك ومغمس أصابعك تشمها وتضمها
وتداعبها ووجهي من خلالها كالقدر انبثق من جوف الليل أو كالصورة
اطلقت من اطارها الأبنوسي اللماع . ولكن هذا الجديد هو الذي دفعني الى
الاساءة اليها والي واليك . هذا الجديد الجبار هو الذي أقعدني .
وكان سلطانه شديداً فرضت و حكمه نافذاً فانحنيت مكرهة مع ذلك وحق

ما بينك وبينى من صلة الحب . ولكن لا تلمني بعد ذلك على أن املأ منها عيني وانثر فوقها قبلاتي وأودعها انقاسي ودمعي ودمي . أننا نبكي في الحياة على كثير من أمورنا التي ليست منا ولا هي بأكرم منها . نبكي كلنا اذا ضلّ وهرتنا اذا تفقت . ونبكي أيضاً على ما هو أقل من ذلك شأنًا . فكيف لا تنحدر عليها مدامعي في هذه اللحظة التي جمعت بين قسوة الزي وقسوة الوداع نعم ان شهوة متابعة الأزياء شهوة جبارة قاسية تدوس بقدميها فوق كل شأن عزيز . وفي رأيي ان حكمة جز الشعر لم تقم على اساس من التجمل وانما على افتتان النساء بمساجلة الرجال ومحاكاتهم في كل ما هو من خصائصهم من امور الحياة . وهو مما لا ترضاه الطبيعة التي شاءت ان يكنّ لآليء اصدافها البيوت

ولقد كان من أمرها بعد ذلك أن همست بصوت خافت : انى يجيئ هذا اليوم الذي ينمو عنده شعري ويعود كما كان

قلت ان هذا اليوم سيأتي على كل حال . ولكنها خنقتها العبرات حين وضع لها أنها ستنتظر زمناً طويلاً عطلاً من حسن هذه الخصلة

وهكذا كفرت عن قسوتها وكانت أول من انتقض على سلطان الأزياء وعند ذلك قمنا الى قنطرة زينتها نوسد فيه هذه الخصلة البريئة حتى تنبت اختها ولكن بعد ان ضمناها ووضعنا فوقها قبلتين حاريتين تردد صداهما بين شفتينا ! ولقد اصبحت من اسباب الفساد بفرنسا ايضاً الكتب والصور حتى

ان الميسيو آدموند هاروكور وضع في ذلك رسالة قيمة عنوانها « افساد الأخلاق بالكتب والصور » — Démoralisation par les livres et les images — طبعت في سنة ١٩١٧ بمطبعة اوللان دورف بياريس تلخص في

ان الصغار يتأثرون بالصور والكبار يتأثرون بالتصور وان الكتاب والمصورين
واصحاب المطابع خرجوا عن الحد فأصبحت الكتب والصور من بعض
الأخطار على العفاف وان الحكومة التي تهتم لأُمور الصحة العامة يجب
عليها ايضاً ان تهتم لصحة الاخلاق .

الرقص والمرقص

تعريف الرقص . الرقص قديماً وحديثاً . الرقص التمثيلي . رقص السيدات مع
الرجال . رأي الفونس كار وروشهرون

الرقص قديم كالزمان . وهو عبارة عن تحريك الجسم حركات متوازنة
فهو من هذه الوجهة محمود لأنه نوع من الرياضة
وقد كان للرقص في العصور الاولى عند الافرنج شأن في الحفلات
الدينية بالمعابد والهيكل حتى قال عنه أناطول قرانس « أنه صلاة » ولكنه
خرج بعد ذلك عن هذا الغرض فأصبح نوعاً من انواع التسلية واللهو
اما عند الاغريق فقد كان أصلاً من اصول التربية واما الرومان
فأهملوه الا انهم في آخر حكمهم اقبلوا عليه ولكن من طريق الاستمتاع
وبذلك أصبح مهنة خاصة لا يزاوها غير الراقصات كما كان الحال بمصر من
عهد غير بعيد

ولقد بلغ الرقص أوجه الآن بأوربا فتعددت اسماؤه والوانه وقواعده
حتى صار كبعض الفنون له مدارس خاصة يتخرج فيها السيدات والرجال
وحتى أصبح من اهم اركان التمثيل

ولكن حسبك منه لباس الراقصات الملتصق بأبدانهم وهو بلون
البشرة حتى لتحسبهن عاريات وحسبك أيضاً ما في حركات هذا الرقص
من انواع الخلاعة السالبة للالباب الى حد قد لا يتمكن المرء عنده من
ضبط نفسه حينما ترفع الراقصة في الهواء ساقاً بعد ساق

اما الرقص المباح للافراد والعائلات فهو ان كان اكثر احتشاماً من
مثل هذا الرقص الا ان السيدات حين يذهبن الى المراقص يرتدين مع
ذلك اثواباً خاصة مثيرة وهو مباح بين الحاضرين بغير استثناء حتى ان السيدة
اذا تقدم اليها راقص قد لا ترفض لأن في ذلك خروجاً عن ادب اللياقة وجرحاً
للشعور ورمياً للمتقدم اليها بالبعد عن الحياء والعفة وهما مفروضان اصلاً .
والآن تصور على اي منهاج يكون هذا الضرب من الرقص فان
الرجل يطوق خصر رفيقته بأحد ساعديه ويمسك بيده الأخرى احدى
كفيها ثم يدوران في المكان ولا أرجلهم اجتماعات واقتراقات ونقرات
وارتفاعات تشترك فيها مع توقيع الموسيقى . وبينما هما كذلك وصدرها عارٍ
يكون وجهها الى وجهه وعيناها الى عينيه فتتعاقد النظرات وتمتزج الانفاس
وقد يكون اجمل من زوجها وقد يكون جريئاً فيهمس في سمعها بعض
كلمات ساحرة ولو من طريق الشئاء على حسننها وملاحظتها مما يستحيل ان
لا يترك ولو بعض الأثر في نفسها حتى قال روشبرون « ان المراقص ينبغي
فيها الزواج وينحل ايضاً »

ولماذا اذهب بالقاريء الى بعيد وهذا ما كتبه الفونس كار في روايته
تحت ظلال الزيزفون التي نقلها الى العربية فقيد الادب المنفلوطي :
« . . . ولقد بقي وحده على الباب يستشف من الواح زجاجه ما وراءها

من المناظر فرأى الراقصين والراقصات يسبحون في بحر من الهناء والسرور
ويطيطون في اجواء مختلفة من اللذائذ والمناعم فظل يدير عينيه بينهم يفتش
عن مجدولين حتى لحها ترقص مع رجل فتبينه فأذا هو صديقه ادوار . فلم يابه
لذلك كثيرا الا ان ماراعه وازعجه وكاد يطير بلبه هو أنه رآها في ثوب
رقيق شفيف لا يكاد يحجب جارحة من جوارحها وخيل اليه ان صدرها
ملتصق بصدر مخلصها وأن رأسها ملقى على كتفه وخدها تحت متناول
قبلاته وأنه يحتضنها اكثر مما يخاصرها . . . هذا شأن الراقصين والراقصات
وهذه اتواهم التي يلبسونها ومواقفهم التي يقفونها برهم وفاجرهم تقيهم وعاهرهم
وما كنت بحاجة الى الخوض في عادة غريبة عنا لولا أنها أخذت
تندس ايضا بين عاداتنا حتى كأن المدنية الغربية أقسمت ان لا تترك في
اخلاقنا فراغا الا تسربت اليه ما دام أن نساءنا انفسهن لا يرين منها بناء
قائما الا تناولنه بالتخريب والهدم

أما احكام الائمة وأما اراء المجتهدين من فقهاءنا فرحة الله عليها
وقد كانوا محرمون حتى النظر عند خوف الفتنة والامس اذا جر الى شهوة

الاناشيد

ماهيتها ومزيتها . شأنها عند الغربيين وعند اسلافنا . القصائد . الطقايق .
نماذج من الاناشيد الحالية وخطرها على الاخلاق . لجنة تقويم الاناشيد . يقظة الحكومة
الاناشيد شعر أو كلام مقطع مقفى جرت العادة بالتغني به وهي قديمة
وان اختلفت كلاما ولحنا باختلاف البلدان . ولهذه الاناشيد تأثير فعال في
الناس تصفو عند سماعها نفوسهم وتشعر بالطرب واللذة لأنها تصرفها عن

الشعور بالهموم والتعب ولهذا كانت لازمة للجند وفي بعض حالات مرضية خاصة
ولقد عرف الغريون قيمة هذا الفن فعنوا به وجعلوه فوق ترويحهم عن
النفس وسيلة الى تهذيبها وتقويتها ولهذا تجده عندهم يتناول كل سبب من
أسباب حياتهم حتى أنهم أفردوا لأقسامه تبعا لما لها من التأثير مسميات خاصة
منها المحزنة والمضحكة والمهازلة والجادة وغيرها

اما عندنا فان الاناشيد لسوء الحظ وقعت عند حد واحد صرنا
لا نستفيد منه غير ألهاب حواسنا وشهواتنا فكانت عوننا خطيرا على تهينة
نقوسنا للفساد

وما كانت الموسيقى هكذا عند اسلافنا فان شعرهم (وما كان يغني غيره)
كان يترك كل سبيل من الحماسة الى الفخر الى الحكمة الى الجهر الى الوصف
والى غير ذلك مما لا يدخل تحت حصر. ولكن العصر الذي صرنا اليه زال
فيه سلطان تلك الحياة الأولى فجمدت الموسيقى واقتقرت حتى أصبحت من
أكبر أسباب تأخرنا

ولما انتشرت اللغة العامية انصرف الناس عن سماع القصائد لاستعصاء
فهمها عليهم وبعدهم عن جمال اللغة فأخذوا يسبكون اناشيدهم في ارجوزات
عامية منها نوع مستحدث اطلقوا عليه اسم الطقاطيق شاع في مصر الآن
شيوعا كبيرا فكان آخر معول من معاول هدم الادب والآداب
وربما كان القارئ في غير حاجة الى تكرارها ولكنني اذكر منها بعض
مقطعات على سبيل الأفادة

١ — بعد العشا يحلى الهزار والقرفشه

٢ — (مذهب)

ونا نيمه كترت الأحلام

(دور)

أخلو قاعد ف الدهييه بدراين بيض زي الليه

ولفهم الاتنين حوليا وصار يقرب فمه عليه

من كسوفي عملت انا نيمه

٣ — (مذهب)

بالذمة قولولي ياريجين المدبولي

(دور)

ألقاشي حيله نافعه للي فايتمي جمعه

يامدبولي لك شمععه لو كنت تبعتولي

٤ — ماهي هيّا اللي قالت لي روح اسكر وتعال عليّ

٥ — اللي بحبه دلعه يجنن يضرب يانوا وبرده يدندن

هاتي لي حبي يانينه الليله

٦ — (لازمه)

ما تخفشي عليه دنا وحده سجوريه

في العشق يا أنتا وخده البكالوريه

ما تخفشي عليه

ما دام الباب من غير بواب . الخ

ومنها أيضا انا لما استلطف ميهمني بابا
بس انت اعطف وتعال امبابه
خدني ف دوكة جو فلوكة
العب وبياك لعبه على كيفك

والآن هل يرى القاريء في هذه المقطعات وهي قليل من كثير الا
مقياسا مؤلما لما وصلت اليه حالة الأخلق

واذا كان الذين يضعون مثل هذه الاناشيد لا يملها عليهم الا مجرد
الوجدان او الخيال فهم آثمون مفسدون ثم ماذا ابقت هذه الاناشيد من
رضي الأخلق بعد أن أصبح الحرام حلالا والعقوق بدعة وبعد ان تطلب
الفتاة الى امها ان تجمع بينها وبين حبيبها وبعد أن تنذر النذر حتى لأولياء
الله ليكونوا سبيلا الى هذا الغرض... ولكن ربما كان لهن العذر
« ما دام الباب من غير بواب »

أني من عشرين سنة تقريبا كنت اسمع غير هذا النحو من الاناشيد
أذكر منه « وبسته ريال بابا جوزني . احسن م العار بابا سترني » فأضرب
كفا على كف لا تتقال حالتنا الأخلاقية من ذلك الكمال الغابر الى هذا
الضلال الحاضر لأن تلك الأغنية التي عفا الآن أثرها لا تقل في جمالها
عن معنى ما سيراه القاريء في قطعتي « النار وارحمي » وقد جاءت على
لسان فتاة ساذجة تستحث اباه ليأخذ بيدها في سبيل صيانتها قبل ان تتعثر
قدماها في مزلق الفساد

ومن أطف ما حدث لي ان أحد الملحنين (المؤلفين في النغمات)^(١)
سألني مرة ان اضع له قطعة من النوع الجاري الآن فأعددت له القطعة الآتية:

متقللي هو انت اتجنيت ده الفجر لاح ساعة ما جيت
هي السعاده ف غير البيت والهلل قنديل من غير زيت

يارتني مجوزت ياريت

الوحده ليه جوزها يخونها داي ميسألشي عنها
حطاً مقامه في عيونها مش زي متصونه يصونها

يارتني مجوزت ياريت

يا غلبها تصبح وتبات ودموها سايله عل وجنات
ياما سقاها الهم كسات ويام خدلو منه رأت

يارتني مجوزت ياريت

ولكنها لم تعجبه مع ما فيها من غفاف وعتاب بين زوجين بحجة ان
الناس اصبحت تقوسهم الآن لا تميل اني مثل هذا الضرب . . .

ولقد سبق ان شعر عقلاء الأمة بما لهذه الاغنيات المنتشرة من الخطر

فقكر معالي جعفر والي باشا في تشكيل لجنة من كبار الأدباء والكتاب

لوضع حد لها وترقيتها ولكن اللجنة بعد ان اقرت النشيد الوطني الذي

وضعه امير الشعراء (بني مصر مكانكم تهيّا) وقفت عند هذا الحد

ولكن خطر انتشار مثل هذه الأناشيد لا يقل عن خطر المواد المخدرة

التي عكف عليها الناس واقامت آثارها المحزنة الحكومة واقعدتها فعدلت
في قوانينها وشدت العقوبات فيها
غير ان الحكومة من حسن الحظ وضعت هذه المسألة في هذه الأيام
موضع العناية وقد احسنت لأنه اذا كانت تلك المواد من سموم الذكاء
فهذه لا تقل عنها لأنها من سموم الاخلاق

عدوى الافكار

منشأ هذه العدوى — سببها — شياطين الأنس — ارحمني — النار —
جناية في روسيا — تعليق)

ان الأفكار كالأُمراض تنتقل الى ما جاورها بطريق العدوى .
وكما ان استعداد بعض الأجسام يجعلها مرعى خصيبا لقواتك
الأمراض فكذلك النفوس تبعاً لما يحيط بها من المؤثرات تكون مرعى
خصيباً لسموم الأفكار

وليست هذه الظاهرة بحاجة الى دليل وفي كل يوم تقع عيوننا على
ما يؤيدها من المشاهد العديدة المختلفة حتى اننا كثيراً ما تلوك السنتنا هذه
العبارات : « خذ الجار قبل الدار — الوحدة خير من جليس السوء .
قل لي من رفيقك أقل لك من أنت . »

وقد يكون منشأ هذه العدوى تسلط بعض الافكار القوية على
غيرها بسبب ما يكون حاصلًا من التفاوت بين العقول كتأثير الرجل على
الطفل والمعلم على التلميذ

وقد تكون هذه العدوى لسبب آخر خارجي كتأثير المرأة على الرجل
العاقل احيانا اذا كانت فتانة وكتأثير الرجل الفاجر على المرأة او الزوجة
اذا لم يكن لها من حياثها أو زوجها عاصم . وكتأثير الدجالين على السذج
من الناس لخشيتهم من كارثة مقبلة او أملهم في بلوغ غاية وكتأثير الخطباء
على الجموع في كثير من المواقف التي تهيبهم لذلك
ولا يحصل هذا التأثير غالبا الا اذا اصبح اختلاط المرأة بالرجل
الغريب عنها مباحا أو ممكنا .

وقد رأينا مبلغ ما يكون من الفساد عند اختلاط النساء ببعضهن
خصوصا اذا كانت نفوسهن مهيأة من قبل له وقد انصرفن عن الدين وتخلين
عن مشاغل البيت الى غير ذلك من الأسباب

واذن فماذا يكون من أمر المرأة اذا احتك بها الرجل وهو أقدر على
أساليب الاستهواء والاستدراج والخداع سيما اذا كان جميلا رشيقا طيب
الرائحة نظيف الثوب حلو الحديث

ينظر هؤلاء الفجار أولاً الى المرأة نظرة عميقة يستشفون من ورائها
ما في نفسها من حاجة أو ضعف فيسدون فراغ الأولى وينفخون من بوق
فجورهم في الثانية وهكذا يهيئونها رويداً رويداً الى السقوط

وانك اذا رأيتهن في أول الأمر لا ترى الا أدباً جما وحديثاً بريئاً
يتغنون بالعفة ويظهرون في حلة أنيقة من محاسن الأخلاق . وبمثل هذا
الأسلوب ينتزعون من خواطر المرأة كل سبب من أسباب الريبة وسوء
الظن فتعتمد عليهم وتفتتح صدرها لهم حتى اذا وقعت عيونهم على ما هو
دفين فيها من أسرار اتقلوا الى النصيح والهداية والأرشاد على أسلوب

لا يدع في نفسها مجالاً للشك فيما يتظاهرون به من طهارة المشاعر وصفاء
الأخلاق وبهذا يزدادون من نفسها ثقة وتزداد عليهم اعتماداً
ومتى قطعوا هذا الشطر من طريق تدبيرهم هان عليهم اجتياز الشطر
الأخير بالتضحية من جانب وبالتأثير من جانب آخر فلا تشعر إلا وقد وقعت
في شبكة محكمة من غرضهم الذي ستروه بمثل ذلك الأدب والنصح والانعطاف
ان مثل هؤلاء الناس شياطين في صور بشر فالويل لمن يقع في فخاخهم
لأنهم كالزهر نضعه في غرفنا في المساء فيخنقنا في الصباح ومهما كان من
عفاف المرأة ومهما كان من حيائها فان البعد عن هذا النفر من الناس أسلم عقبى
على أن الحوادث الدالة على ما لهذا الاختلاط من مريير الأثر أكثر
من ان تحصى وهي تجري بين عيوننا كل يوم ولسكني لن أذكر شيئاً منها
مكتفياً بما كتبه حكماء الأفرنج عنها ولا بأس من ذلك والفساد لا يتقيد
بمكان مادام غذاؤه قلب كل امرأة وجرأة كل رجل في كل صقع وما دام أن
الطبيعة البشرية واحدة في كل مكان

— ارحمني —

عزيزي

كم ترددت قبل أن أرسل اليك بهذه السطور وأنا كلما كتبت شيئاً
مزقته وأخذت اكتب من جديد .

ولعل السبب في ذلك عينك الجميستان فقد كنت كلما حولتهما الى جهتي
ذهبت عني خواطري ونسيت عندها نفسي . أشعر بالسعادة الى جانبك
ولكنني أفر منها الى ركن مظلم أختفي عنده حتى لا تنفذ نظراتك الى قلبي

ولا أدري اذا كان من سوء حظي وحظ زوجي ان جمعتنا بك تلك
الليالي المكدودات بكاليه . فأنت حين زرتنا لأول مرة لم تجد نفسك الا في
منزل بسيط بين فرش بسيطة وعند غذاء بسيط وأن كنا مع هذه البساطة
بذلنا كل ما في وسعنا لا كرامك

وكم كان مبلغ خجلنا على أثر انصرافك وقد أيقنا أنك لن تعود بعدها
الينا . ومع ذلك فقد عدت وأدخلت في قلوبنا السرور

ولقد كان الحياء في أول الامر يغلب عليّ حتى اذا تكررت زيارتك
زال أثره من نفسي وقد خيل اليّ أيضا أنك كنت تخصني بها اكثر من زوجي
ولكنني لا أفهم كيف وأنت في مقام يفتح لك كل مغلق من ابواب
الاتصال بأرفع الطبقات وبأرقى النساء الجميلات يهون عليك أن تقضي
ساعاتك الطوال عند فتاة مثلي ليس لها نصيب من الجاه او الرشاقة او العلم
ثم اني لا أنسى ذلك اليوم الذي وضعت فيه يدي بين يديك واخذت
تنفث في اذني من سحر حديثك وأنت تقول أنك لم تقع عينك على أجهل
مني وأنت لا تفكر الا فيّ ولا ترى ان تبذل حبك لغيري وكأنني اهتز عند
حلم هاديء لطيف حتى كنت اتمنى عنده لو اني اظل تحت سماء ذلك الحلم
فلا استيقظ

ولكم قلت أنك لا يخفى عليك اخلاصي لزوجي وانك تحترم حياتي
وانك مهما كان من امرك مع نفسك لن تتركني هدفا لا قواس المعصية وانت
صديق زوجي تحبه وتكرمه ولكنك مع هذا كله كنت تطلب الي من
طرف خفي ان افتح لك صدري بالحب
وهكذا ظفرت مني بما لم تظفر به من قبل من حيث لا اشعركم انت

قدير على امتلاك القلوب . حتى اصبحت كلما رأيتك انسى هذا الوجود وأنا فتاة ليس لها من العزم ما يعصمها

ولقد كنت اذا انصرفت يتسلل الألم الى نفسي ويعذبني ضميري وعند ذلك اتساءل هل ما زلت زوجة امينة ولكنني لا اتردد في أنني ائيمة لا استحق رحمة الفضيلة لتساهلي وان كنت لم تصل معي الى الخطيئة الاخيرة لهذا اكتب لك اليوم لكي ترحمني وتقف عند هذا الحد معي حتى لا امد يدي بالمعصية الى ما بقي من طهارتي ثم ارجو ايضا ان لا تحدث نفسك من الآن بزيارتنا فلقد ملكني حبك حتى انني لا أصبح لك عند اول مرة تحاول فيها ان تراني

ان زوجي الذي انت صديقه يحبني وهو فتى طيب القلب كريم . يقتل نفسه بالعمل في سبيل مرضاتي . ثم انك يا جاك لن تجد مني الا سلوة لحظة قد تصرف نفسك عنها لو شئت . اما هو فاني في عينه كل شيء وماله قلب غير قلبي يسكن حبه اليه . وحتى لو غفل عما يكون من امرك معي فأني اقتل نفسي ولا اقدم على خيانتة . واذا لا قدر الله واطلع على امرنا فإنه يسعى بنفسه الى الموت فتكون شريكين في التآمر على قتله ...

(النار)

نعم يا عزيزي راؤول انك ستدهش لسطوري هذه وربما تشككت في انها صادرة لك مني ولكن لا محل للشك وأنا التي كتبتها انا زوجتك قبل ان انحدر الى السرير الذي يضمني الآن وحدي بعد ان كان يضمك ويضمني ولقد وضعتها تحت وسادتك فلم تقرأها لأنك لا تعود من سهرك الا في ساعة متأخرة من الليل . فاضطرت ان اضعها لك الليلة فوقها حتى لا تخطئها

لقد مضى على زواجي بك الآن ثلاث سنوات ربما لم تشعر بها .
ولكني شعرت بها أنا اليوم لحادث وقع لي سأذكره لك . وقد تكون هذه
السنوات الثلاث شيئاً كثيراً في عينك لكن أهلك وأهلي وصحابك
وصحابي لا يرون ذلك وما زالت تغمرنا نضرة الشباب وأنت رشيق وأنا
جميلة فكيف يذهبون الى ما تذهب أنت اليه وأن كان امر الحب فيما بيننا
الآن لم يعد سيرته الأولى

ولقد كنت حريصة على مراجعة التقويم اليومي فأدركت ذلك الزمن
الذي مرّ على زواجنا وأدركت ايضاً اننا ما كنا في خلاله كزوجين فانظر
الى أي حد بلغ منك الشعور بالواجب

ولقد اخذتني من احضان اهلي عذراء الجسم والعقل اجهل معنى الحب
ولا افهم من اموره شيئاً ولا اعرف من معنى الزواج اكثر من اننا سنعيش
جنباً الى جنب كصديقين . وياليت الأمر كان كذلك

ولكنك استفدت من جهلي وزحزحت الستار لعيني عن أفق جديد
ما كنت لا أعرفه ولا تهيات نفسي له . وما كنت اشكو من ذلك مادام ان هذا
حكم العادة على ما يظهر ولكنها عادة قاسية جعلت الزواج اعتداء وغصباً
بدلاً من ان يقوم على حسن التفاهم ويرتكز على التآلف والتجاذب ومع ذلك
فإن الطبيعة لحسن الحظ ما زالت واقفة بالمرصاد تصلح من أثره الرجال

ومن هذا ترى ياراؤل انني لم اعط من الزمن الا قليلاً لكي احبك
كمعذراء بل كامرأة حتى انك كنت دائماً ترميني بمحبة المزاج وأنت تقابل
ولمي بالتراخي وأقبالي عليك بالانصراف غني

وهكذا لم ينصرم حبل السنة الأولى من زواجنا حتى تبدلت من

زوجتك خلية يعلم امرك معها كل الناس مع أنها امرأة لا تصفيك الحب
وانما تبيعك اياه وهي مع هذا تمد عينها الى سواك

على أن جزعي ما كان الا لا نصرافك الذي فاتني تقدير حسابه في
أول حياتنا . حتى كأنما قدر لي من اليوم الى الغد ان اغير بسبك نظام
طعامي فأنقل من الشهي منه الى ما هو دونه . وقد ينتهي الأمر بي الى
الصوم فكيف جاز لمعدتي يا صديقي أن تعد لمثل هذا النظام وكيف خطر
لك أن في وسعك تنظيم شهيتي على وفق ارادتك

اعلم يا راؤل انني امرأة طاهرة اتنى لك السعادة ولا أدل على هذا من
خطابي لك اليوم ومن صبري على هجرانك وانا ابكي ولا أجهر بالشكوى
وتنفض محجري بالدموع وانا أحبسها ولكني في هذه المرة اطلب اليك
ان تسرع فتقذني من النار التي اصبحت على مقربة مني لأن الحادث الذي
نوهت لك به نبهني الى أن ارادتي اوشكت ان تقلت من يدي وأن كل
وسيلة أصون بها شرفك وشرفي صار زمامها عند غليان دمي وأن اتقاد ناري
أصبح هدفا لقل فتنة تهب عاصفتها في وجهي

انك تعلم انني استقبل زواري يوما في كل اسبوع وكلهم من صحابك
وصواحبتي وبعض الشبان الذين قليلا ما نعرفهم ويفدون علينا معهم فاضطر
الى الترحيب بهم وما اسهل ما تقبل المرأة على المتقدمين اليها لاسيما اذا كانت
بائسة مهجورة مثلي . ومن منهم من لا يتودد الي ويسترضيني بل ويطمع
في أن يحل في المكان الذي لك وحدك من نفسي لو ان الله قدر فدفعني
القنوط الى خيانتك

ففي هذا اليوم عند الساعة السادسة والنصف على اثر انصراف زواري

وجدت نفسي وحدي مع احد اولئك الفتيان وقد شملتنا فترة من السكوت
ولكنه انتقل دفعة واحدة من الحياء الى الجرأة فهجم عليّ وطوق خصري
واخذ يحطر شفتيّ بوابل من قبلاته

ولا تظن اني قاومته يا راؤل او اني وجدت في نفسي القوة على دفعه
عني فقد غلب على ارادتي عندها شعور خاص حبّب اليّ مداعبته حتى اني
في تلك اللحظة لم يكن بيني وبين الخطر شعرة . ولقد جرأه اقدامه على
السير بي الى ابعد مما سلف لولا ان دخلت علينا بعض صاحباتي فاحتشم قبل
ان تتنبه الى ما كان فيه . ولو انها تأخرت عنا لحظة لكان يا راؤل قضي الامر
وانتهى كل شيء .

على أن هذا الفتى الوقح الذي حاول بمثل هذه المباغته ان يتخذ له خلية
من زوجتك لن يدخل داري بعد هذا اليوم واني اعدك بذلك وعداً صادقاً .
ولمكنني لا أقوى على الوعد بأن ما حصل اليوم لا يحصل غداً أو بعد غد
لأن هذه صاحبة قد لا ترسلها الاقدار مرة أخرى لتنتشلني

ان من واجبي ان اعترف لك بما صرت اليه من الضعف واني قد
أكون بعد اليوم هدفا لأي رجل آخر في جرأة هذا الفتى . ان النار قد
أخذت تشتعل في بيتك فاذا كان يهون عليك ان تمتد الى ما بقي منه فاستمر
على الحياة التي انت فيها . ولعلي أكون مخطئة فتسرع الى اطفائها قبل ان
تقوت الفرصة فتلتهم كل شيء

جناية في روسيا

نشرت مجلة أشهر قضايا العصر الفرنسية في عدد أغسطس سنة ١٩٠٤ هذا الدفاع البديع الذي تقدم به امام محكمة جنايات روسيا الاستاذ اندريفسكي دفاعاً عن متهم بأُس في حادثة قتل كانت وليدة جناية على الاخلاق :

« انني لن اطلب اليكم اليوم ان يكون للانسان الحق في قتل اخيه الانسان لان مثل هذا الحق مناف لطبيعة العمران فيستحيل ان تقرره الشرائع ولكنني اطلب ان تقرروا هذا المبدأ وهو انه قد يكون هناك قاتل لا ينكر جرمه ولكنه يفلت مع ذلك من حكم القضاء وحكم العار

ولقد تمر على الضمير البشري فترة يشترك فيها ألم القاضي مع ألم المتهم وعندها يقوم العراك العنيف بين شريعة السماء وشريعة الناس ولكن القاضي يخرج من بين ذلك صائحاً بأعلى صوته : نعم هنالك خطيئة ولكننا لا نحمل ضمائرنا تبعة ان هناك جرماً

في ربيع العام الماضي وقعت بخاركوف مأساة اليمه كانت ظروفها سبباً في اثاره جو مشبع بالظنون والفضيحة لأن ماريشال شرف قسم أزيوم ذلك النبيل المثير انتيوش الكسندر وقتش بنتيشي قتل لا شترাকে في حادثة زنا ولقد كان من العسير باديء بدء أن يصدق الناس هذا الخبر نظراً لمركز القتل حتى ان قاتله اوجين « رومانو قتش لسففسكي » كان موضع السخط العام وهم يصيحون : ما هذا ؟ مثل هذا الفتى المعوج المدمن على الشراب والميسر المستغرق بالدين يجراً على قتل مثل هذا النبيل الطاهر ؟ وبالرغم من ان القتل كان انتقاماً من الزوج كانت آذانهم تأبى ان تسمع

هذا الصوت صائحين دائماً : نعم . نعم . انه اراد ان يضع امرأته في اخدي
كفتي المساومة بعد ان اتى على ما كان يملك فهو لم يقتل الا لانه لم يوفق
الى الجعل المعروض لطلاقها !

ولكن بالله كيف يمكن بعد ما سمعتموه هنا ان تعود الى اسماعكم هذه
الخرافة التي نسجتها افواه العامة بعد ان هياتها لمثل هذا الزعم الجائر نفس
تدبيرات القتل . من ذا الذي يصدق بعد ذلك ان لسفتسكي كان يطمع
في امواله او أنه كان يحاول ان يقتضي منه ثمن امرأته مع انها هي وابنتها
كانتا من اعز نعم الدنيا عليه

واذا كان قد اعتاد فيما مضى أن لا يقترض من القتل الا بسندات
مالية لا شبهة فيها وانه سدد قيمتها كلها فكيف اذن يدور في رأسه مثل
هذا الخاطر السيء الشائن الذي ما زالت ألسنتهم تلوكه

واذا كان أخيراً بحاجة الى الاقتراض من القتل (صديقه) . . . فهل
لم يكن مثل هذا السبب المزري كافياً لصرفه عنه الى غيره من المقرضين
ومن أغرب الامور ان يدهش أبو القتل عندما بلغه نبأ قتله فيصيح :
« أين صرف ولدي المقتصد المستقيم . . . ريعه السنوي وهو لا يقل عن
(خمسين ألفاً من الروبلات !)

ولكنها دهشة لن يكون لها أثر في نفوسهم لأننا نعلم أيضاً ان ذلك
المقتصد المستقيم . . . دفن معه يوم قتله كلما كتمته جوانحه من أسرار أخرى
وأغرب من هذا القول أيضاً ان احاديث الطلاق لم تظهر الا في الوقت
الذي نضبت فيه ثروة القاتل وأنه لما سدت من دونه ودون امرأته أسباب
السعادة حقد على القتل لأنه لم يجده سخياً للحد الذي كان يطلبه ثمناً لطلاقها

لا اراني بعد ذلك في حاجة الى الوقوف عند هذه التخرصات لاسيما
اذا ذكرتكم أن لسفتسكي لما زالت الغشاوة التي كانت على عينيه وسمع صوت
قلبه يسأله : « من الذي أصبح يملك قلب امرأتك ؟ » لم يتردد لحظة في
ان يطلب من القليل ان يبارح داره فوراً

وقد يقولون ان هذا كان حيلة منه أيضا ليؤجج نار الحب في قلب
بنتيش فيزيد في ذلك الثمن

ولكن اذا كان الأمر كذلك فما هو اذن الحد الذي تقف عنده مثل
هذه النميمة ؟

على ان الموتى لا يملكون ان يدفعوا للاحياء شيئاً وقد اصابه موكلي
بيد ثابتة وهو يعلم حق العلم بما وراء عمله من ظلمات الحظ التي ستقوم على
حكمكم الأبدى .

من ثمان سنوات اقترن لسفتسكي (الضابط بالخيالة) بكاترين اخفيا
وكان يحبها من كل قلبه مدى السنتين التي ظلت خطيبته فيهما وامها يحاول
اقصاء عنها وقد ظنته فتى هو غير أهل لأي عمل ولكن الحب قرب بين
العروسين فباركته

ولقد كان زواجهما سعيداً رزقا من بعده بسنتين طفلة لم تضعف
عواطف حبهما فحسب بل انها صانت أيضا كما ستراه تلك العلاقة الى آخر
لحظة . بل ان مولدها عد أيضا فألا حسناً لأنه على أثره ظهر في هذه الحلقة
ذلك الذي سموه صديق العائلة . . . و خليل الزوجة فيما بعد !

وكانت زوجة لسفتسكي في ذلك الحين من أجمل نساء خاركوف فلما
وقعت عين بنتيش عليها (وهو القدير على صيد النساء) هام بها ولكنه ادرك

ما يربطها بزوجها من طاهر الحب فوطن نفسه على الصبر حتى يهيء له
الزمن يوماً يكون عنده شريك زوجها فيها
ولا يفوتنا ان موكلي كان على ثقة من طهارتها فاطمأن عليها ولم تحدثه
نفسه بمراقبتها وعاد الى حياة لهوه الأولى .

وقد كانت هذه الغفلة فرصة رأى بنتيش ان ينتهزها شيئاً فشيئاً بمثل
خطوات الذئب ونعومتها لاسيما وان أفساد قلب زوجة كهذه اسهل في الواقع
من افساد فتاة عذراء ولذلك لم يتطرق اليه اليأس فوضع لغرامه خطة بعيدة
مأمونة وهكذا بدأ يكثر من التردد عليهما

ولقد كان رجلاً ذكياً دقيق الأسلوب هادئاً قوي الإرادة نخطا في
هذا السبيل خطوات واسعة حتى أصبح أهل المنزل يعدونه صديقاً حميماً
وعند ذلك وجد المجال سهلاً لصرف قلبها عن زوجها فأخذ يظهر
عندها بمظهر لماع خداع حتى كان في غيبة موكلي يتولى الدفاع عنه
ويلتمس عندها له المعاذير لأن خير طريق في نظره هو أن يكيل لخصمه
الثناء جزافاً

ولقد نجحت هذه الخطة فأخذت تمشي بقدميها الى الحبائل التي نصبها
لها ذلك الرجل القدير الرشيق اللطيف المحضر وهو يقوم نحوها بكل
وسائل الرعاية في كثير من الأمور حتى كان اذا غاب زوجها يقضي كل
زمنه معها متودداً متظاهراً بالتجرد عن الغرض

ولكنه وجد المقام يتطلب أكثر من هذا فأخذ يذكرها (وكأنه
خجل) ملاحظتها وحسنها وهجر زوجها اياها وهو ساكن لا يظهر على وجهه
أي أثر مريب .

وكان في بعض الأحيان يهمس في أذنها مثل ذلك حتى لا يسمع الحاضرون وهو مع ذلك يجد في وجودهم سياجا يدفع به عن نفسه الشكوك والظنون. وكيف لا تتنبه مشاعرها بعد ذلك فاتقدت في نفسها شهوة الظهور له بمظهر يجملها في عينيه وهي بعيدة مع ذلك عن أي خاطر من خواطر الخطيئة ومن القواعد المأثورة أن المرأة لا ترفض غرام رجل حاذق صبور إذا وثقت من كتمانها. وقد وجدت هذه الصفات في بنتيش فلم تخش أن تهيبه نفسها آمنة على سرها وقد كرر لها أنه لن يخرج من شفتيه حتى يدفن معه فصدق

انظروا على أي أسلوب معقد دقيق طويل تمكن هذا الرجل من جر تلك الصالحة الطاهرة إلى بؤرة الفساد على أنني ألفت نظركم هنا بوجه خاص إلى نقطة من الأهمية بمكان لا أننا نلمس بها سبب كل هذه المصائب إذا كان بنتيش هو حقيقة ذلك الرجل الكامل كما صوروه لكم فاسمحوا لي أن أوجه إلى ظله سلسلة من الأسئلة. أسأله :

في ذلك الوقت الذي لم تكن سقطت عنده تلك الفتاة وأنت تدعو زوجها صديقك الحميم حتى ارتفع من بينكما حجاب التكليف قل لنا في ذلك الوقت كيف ساغ لك تحت ستار إخلاصك لزوجها أن تمد يدك إليها وأنت الطيب المقتصد المستقيم؟
أتريد أن أوازن بينك وبينه في تلك اللحظة وأنت تدفع بها عندها إلى ظلمات الخطيئة؟

ان لسفتسكي لم يكن أقل منك حبا لها وقد انتظر سنتين كاملتين
كان فيها محل الاختبار الشديد وكثيرا ما ترددوا في قبول يده فلما باركوا
لها وله ارتبط بها على ملا من الناس . فلماذا لم تفعل انت ايضا مثل ذلك ؟
واذا كنت اقتنعت بأنها أخذت تحبك وان زوجها (صديقك) لن
يقدر على اسعادها حتى هجرها وانصرف عنها وان زواجك انت بها يحقق
تلك السعادة التي كنت تلوح بها فهلا كان من السهل ان تكشفه امرك في
اسلوب تستشف من ورائه حقيقة ما يجول في نفسه نحوها حتى اذا كان
حقيقة سلاها وتركها ونزل لك عنها او أن انصرفه كان فوق يده للاسباب
التي زعزعت حياته فيعود الى صوابه ويصلح من أمر نفسه

ولكنك بدلا من هذا اعددت لها ولك غرفة خفية عن عيون الناس
نصبت في وسطها سريرا زينتته لها ثم أخذت ترفع عنها ثوبها بيد مرتجفة
من نشوة الحب فاشبعت شهوتك المتقدة نارها وانت وهي آمنة

ولكن أتدري ما معنى ذلك ؟

انك افسدت امرأة اجتمعت فيها زوجة وأم . ولقد قال سيدنا المسيح
عليه السلام : لقد جعلني الله سيف انتقامه . ولكنك لم تسمع صوت هذا
النذير في تلك اللحظة

ان بنتيش كان يشعر بلذة السعادة في غرامه الجديد وان كانت لذة
لم تقم الا على الشهوة الحيوانية ويدل على ذلك ما كانت تتضمنه رسائلها وقتئذ:
« اضمك واحبك — اضمك اضمك اضمك — كم يلذ لي ان اكون
عند صدرك — احبك من رأسك الى قدمك — احبك الى حد الجنون —
كيف احيا بغيرك »

بل ألفت نظركم الى هذه الرسالة الأخيرة لأهمية ما تضمنته :
« اكتب لك متظاهرة بالمطالبة ولكني ارتجف خوفا لأن زوجي
يلعب الورق في الغرفة القريبة مني »

نعم انه لولا قتل بنتيش لما كان في الأماكن ظهور كل هذه الخفايا ولا
كان أتيح للسفستكي ان يغسل شرفه من عار تلك العلاقة . أما الآن فقد
اهتدينا الى تلك الحقيقة الأليمة النائية والى انهما كانا يجتهدان في اخفاء أثرها
ثم انكم تعلمون كيف كان من الصعب الحصول على أوراق كاترين
وقد عني بنتيش بأخفائها . ولولا ان قاضي التحقيق خطر له الانتقال فوراً
الى غرفة مكتبه لما كانت أمامكم الآن . ولقد طلب المفاتيح من الخادم
فانكرها ولكنه حين رأى القاضي يسجل امتناعه في محضره ويعتبره مضللاً
للتحقيق اضطر الى تقديمها

وكذلك المكان المفروش الذي كان يجتمع بها فيه فقد اجتهد القليل في
اخفاء أمره عن الناس حتى أن القاضي بالرغم مما كان يشاع عنه لم يهتد اليه
الا بعد شهرين من الحادثة

هذا هو بنتيش الذي عرف كيف يدبر خططه ويحكم أموره حتى
أصبح خليلاً لزوجة لسفستكي

ولقد لبثا سنتين ثم لين بخمرة ذلك السرور الشهواني بغير ان يرتاب في
سلوكه أحد لأنه كان ماهراً في أسلوب تمتعه بغير ان يرى الناس فيه رجلاً
ذا وجهين

على انه بعد ان هياً ذلك المكان وأعد له مواسم فجوره ظل كما كان
صديق العائلة . . . وضيئها

وفوق ذلك كان اذا قصد خار كوف لقضاء اسبوع أو أكثر فيها
نزل عندهما وتناول الطعام على مائدتهم فاذا حانت ساعة الراحة اهتم الخدم
بأمره حتى انهم كانوا لا يمشون الا على أطراف اصابعهم

ومع ذلك فقد كانت هذه السعادة الموهومة مخوفة بشيء من الخطر
لأن بنتيش وان كان رجلا مفكراً ثابتاً الا انه ترك زمام نفسه مسترخياً
وراء تلك العلاقة التي اخذت ترداد حتى صار اختلاطه بها كاختلاط الظفر
باللحم وحتى اصبح بالرغم من احترازه تتغلب عواطفه احياناً عليه مما دعا
الناس الى تناول شأنه معها بصوت مسموع

ولقد دبت في نفسه فوق ذلك ايضاً غيرة شديدة عليها كانت تدفعه
الى الانفراد بها وتملكها. ولذلك اخذ يبذر بينها وبين زوجها بذور التفريق
وهو لا ينفك عن همزه ولمزه على مسمع من نفس رفاقه

ثم ان جنون الحب بين الزوجين كان قد انقضى عهده حتى رمى
الناس لسفتسكي بأنه يخونها وان لم يتجاوز ذلك غير مرتين في مدى ست
سنوات مع انه لم يقدم على ذلك ايضاً الا لأن صديق العائلة . . . الكريم
افسد قلبها عليه وكرهها فيه حتى بلغ من أمر سلطانها معها ان باعد بين سريريها
بحجة مرضها . . . !

ولكنها مع ذلك كانت دائماً شمسها التي ترسل حرارتها الى حياتها
ولا اظنكم تعتقدون ان بنتيش مهما بلغ من شأنه يكون عندها خيراً منه
ومع هذا فأن تعلقه بها لم يظهر في ثوب حقيقته الا حين اصبح مهدداً
بطلاقها

ومما يجب القات نظر كم اليه ان لسفتسكي بالرغم من ملازمة بنتيش

لمنزله ما كان يرد على خاطره ان يقدم على خيائه لأن كل شيء كان محكما الى حد ان الخدم أنفسهم ما كانوا يرتابون في شيء . وربما ساعد على ذلك أن لسفتسكي كان لا يتصور ان امرأته تدوس على أقدم علاقة أساسها الطهر والعفة

واذا كان بنتيش على شيء من الحسن والرشاقة وقوة الأسلوب فما كان ذلك في نظره بداعٍ الى انصرافها عنه اليه وهو رجل ليس له فؤاد ولذلك استبعد ما يسمعه من أفواه الناس عنه وعنهما حتى انه لما ذهب الى البنك ليقطع بعض سندات بنتيش كان محل الاستغراب والدهشة ولقد كان من وجوه الاعتراض على موكلتي انه لم يحرك ساكنا عند ورود تلك الرسالة المجهولة الاسم ولكنه قرر لكم حقيقتها وانها كانت من عمله هو ليتكشف بها عند حماته شيئا من ذلك الذي كان يذاع وفي الواقع فليس من مصلحة بنتيش أو أحد من اتباعه أن يذيع بمثل هذه الرسالة أمراً مكتوما فلم يكن غير لسفتسكي نفسه الذي حررها للغرض السالف

ولقد استمر الحال على ذلك الى شهر الصوم من السنة الماضية حيث بدأ لسفتسكي يشعر بانقباض شديد لأن تلك الاشاعات بلغت حداً غير محمود وهو يحسن الوفاق بينه وبين زوجته مهدداً وكأن شيئاً عزيزاً عليه طار بتقصيره من بين جنبه

على ان اشاعات الناس أخذت تتقدم حتى قالوا أنه لا يستحق ان يكون زوجا لكاترين وان الأولى له تركها لبنتيش لأنه أولى منه بها وأجدر وأنه يجب ان يطلقها .. وما كان اقساها كلمة

من تلك اللحظة تغيرت حاله حتى انكره عارفوه فكان حزينا كئيبا
كثير البكاء سريع التألم كأنما قد حانت الساعة التي يصبح عندها ملكا
لسلسلة طويلة ثقيلة من الاحزان

وعندئذ بدأ الزوجان يتقابلان بوجوه عابسة مقطبة ثم تدرجا من
ذلك الى التساب فالتضارب حيث انتهى الأمر بأن أمسكا عن التخاطب
مع انهما كانا جسمين يدق فيهما قلب واحد ملاً فراغه الحب والحنو
والأخلاص

ومع ذلك كان لا يزال من تلك السعادة الماضية أثر باق هو ابنتهما
مارنسكا التي كانت تنعكس في قلبها النقي صورة أبويها متصلين برباط الحب
كقديم الزمان ولذلك لم يجد لسفتسكي امامه سواها ينسبه ألم همومه فتعلق
بها وهو يمد نحوها كفيه مئوسلا كأنما تجمع فيها كل رجائه في الحياة
ومن الغريب ان ذلك الرجل الماضي الذي لا يهتم حتى لا يسط امور
حياته ظهرت عليه في تلك اللحظة بشائر الشعور والتفكير والحذر حتى
رضخ الى حكم نفسه فأخذ يجادلها ويحاورها : هل انا جدير بأن اكون
زوجها وهل تكون اسعد حظا لو انها تزوجت من غيري . وهل من حقي
بعد تلك الحال السيئة التي آلت اليه حياتها ان استبقياها ؟

ولكنه ما كان يخرج من هذه المناقشة بغير الشعور بوحشة العزلة وألم
الانفراد ومرارة الهجر لأن تعلقه بامرأته كان شديداً حتى كادت صحته
تندهور لولا رياضة يومية مع ابنته كانت ترسل الى قلبه شيئاً من الحرارة
وهو الى جانب تلك الطفلة البريئة الخالصة من ادران الخطيئة
على أن أعصاب خواطره كانت تزداد توترا وهو متردد ذاهل . . .

وإذا كان الشهود قد رووا ما سمعوه عن بنتيش بغير زيادة ولا نقص الا
أن ما ذكره لهم لم يكن الا بناء على خطة وضعها وكتبها فلقد سأله بعضهم
عن موعد الطلاق فقال لا أدري .. لأن اسفتسكي يغير كل يوم شروطه ..
ولكن ذلك الرجل الظريف ... فاته ان يذكر عوضا لهذا الطلاق
حين صاغ جوابه لهم في هذا القالب المتعمد وأذن فلا حاجة الى الوقوف
عند هذه النظرية الواهية من أن القتل كان يرجع سببه الى مثل تلك المساومة
وعلى ذلك فإن روبنستين صديق بنتيش قرر في شهادته أنه قبل الحادثة
بأسبوعين ذكر بعض الرفاق أمام اسفتسكي ليلة ساهرة مضت كانوا قضوها
معه ومع زوجته قبل أن يرتبط بنتيش فتشهد وقال ودموعه تجري على خديه:
ليت ذلك الزمن يعود!

وقد قرر شهود آخرون أيضاً أن المتهم في فترة ذلك الصوم ما كان
يقطع وقته بغير البكاء

اتراه كان ينتحب لأن ما عرضه عليه بنتيش من الأجر مقابل البعد
من زوجته كان قليلاً! الا ترون معي الآن ان هذا الاستنتاج مضحك
ومع ذلك فان المتهم قبل وقوع الحادثة بثلاثة أيام ادرك أن الحالة
تقضي بسؤال زوجته عما اذا كانت تحب بنتيش حقيقة

ولو أنها في مثل هذا الموقف كانت تشاطر الناس رأيهم في أمره من
أنه لا يحبها وإنما يقصد جر الربح لنفسه على حسابها لما ترددت عن استنكار
هذا السؤال ولقالت له مرة واحدة « انت لا تجهل اني أحبه فارجوك أن
تصفي حسابك معه سريعاً والا اضطرت أن اذهب انا اليه »

ولكنها لم تجرأ حتى على تخيل مثل هذا الجواب لأنها وهي التي

اصبحت قلبا وقلبا في حيازة بنتيش من أكثر من سنتين ادركت للحال
ما يخفيه صوت زوجها من المتاعب وما يبدو على عينيه المحمرتين من أثر
البكاء والسهد فكذبت عليه قائلة : « انني فقط بدأت اشعر بالميل اليه »
ولقد كان هذا آخر شعاع من أشعة الأمل ملأ جوانب قلبه فرحا فرأى
السعادة كل السعادة في أن قلبها لم يصبح ملك ذلك الرجل وأنه من السهل
عليه بعد ذلك معالجة هذه الحالة الدقيقة معها . ولذلك لما وافت الساعة الثانية
انطلق الى غرفة بنتيش وبعد أن أيقظه توسل اليه أن يبارح منزله الى
الأبد فأجابه الى ما طلب ولكن دلائل الشهامة التي بدت على جوابه
لم تكن إلا دلائل تمثيلية

ولقد لامه موكلي على اعتياده ذكر حبه لها أمامه فقال : « حقيقة
أن هذا غير لائق ولكن ماذا أعمل وأنا احبها ايضاً من اربع سنوات »
وهكذا ظهر بمظهره الحقيقي

ولقد اراد المتهم أن يقنعه بان استرساله وراء شعور كهذا فجور وان
هنالك من النساء ما يمكنه أن يقاسمهن العيش وهكذا لا يهدم بيتاً قائماً ولكنه
بدلاً من الاقتناع وتحقيق هذه السعادة المنزلية واحترامها افهمه أنه هو نفسه
لا يحب امرأته وهو يجري من وقت لآخر خلف الراقصات والغواني
بل أنه عاد الى سؤال موكلي عما اذا كان لا يزال يحبها فلما لم يتغير
جوابه تظاهر بتلك الشهامة الموهومة التي قدمناها مكثفياً بالعودة في
الغد لتوديعهما

واذا كان لسفتسكي على أثر ذلك هدأت ثورته واطمأنت نفسه الا
اننا نعلم مبلغ بهتان ذلك الرجل الذي لا يصبر على فراق كاترين ولا لحظة

واحدة . على أنه رأى مدام لسفتسكي تحاول كتمان حكمها في مثل هذا الموقف وقد تكون تعمدت ذلك تاركة له هو مطلق التصرف

ولقد امتعض ايضاً حين ادرك ان هناك عقبات جديدة قامت تعترض طريق لذاته لان حرصه وحرصها على تكتم ما بينهما حتى لا يعلم به موكلي أصبح غير كاف وقد زالت الغشاوة التي على عينيه الا انه كان مع ذلك كثير الثقة بخليته وحسبه ان يسجرها بأساليبه حتى تكون له الى ما شاء الله

ولما عاد لسفتسكي الى منزله انهى الى زوجته بما وعده به بنتيش ولكنها لزمت الصمت فقطعت على الزوجية خط الرجعة الى هذوئها القديم ومع ذلك فلما أقبل الصباح جثا لسفتسكي عند قدميها والدموع تملأ عينيه وتوسل اليها أن تقيم على حبه واعدأياها ان يكون عندما تريد يرعاها ويضاعف عنايته بها ويسعى الى تحقيق سعادتها . وعند ذلك تنبت عواطف الشفقة في فؤادها فبكت واعدة أياه بنسيان خصمه وان كان في الحقيقة فوق مقدورها

ارأيتم الآن اي رجل هو ذلك المتهم الواقف بين ايديكم . رأيتم في حياتكم زوجا يتوسل الى امرأته والى الرجل الذي يداعبها أن يضغطا على شعورها قليلا حرصا على سلامة العائلة . كيف يكون مثل هذا الرجل قديرا على البطش او كيف يكون للقسوة محل في قلب الجريح الرقيق . هذا هو الرجل الذي هبطت فوق رأسه السعاية والوشايات فدفعته الى اليأس والجنون

على ان بنتيش بعد ذلك بزمن قليل عاد فصعد مرة اخرى الى حمة موكلي على نية التفاهم معها . . . وعند ذلك تركه لسفتسكي عندها ومعها زوجته ثم أسرع الى غرفته منتظرا ما يستقر عليه رأيهم . غير انه سمع حماته

تصيح فجأة : « جرب قليلا كيف تتغلب على عواطفك » مما يدل على انها هي
وابنتها اعطياه مهلة يعالج نفسه فيها

وبعد لحظة صعد موكلي فامح زوجته تنسل مع بنتيش الى مخدع بالمنزل
وحماته عند الشرفة المطلة على الفناء

وكانت كاترين مستندة على ساعديها فوق المائدة وهي تبكي وكذلك
كانت الدموع تترقرق من عيني ذلك الوحش ولعلها دموع الوداع يتبادلانا
في تلك اللحظة الاخيرة

وعند ذلك لحق موكلي بحماته يرجوها ان تتدخل فيما بينهما وان تحول
دون اجتماعهما فنصحته ان يقلع عن هذا الخاطر حتى لا تزيد في تورتهما
ولكنه تركهما وأخذ يدور بخفة حول المخدع وأذناه تسترقان السمع وقلبه
متدافع الدقات متلهفا على ما سيكون من حظه كالمتهم الذي يلصق اذنه
بباب الغرفة التي تجري فيها مداولة قضائه

وكان حديثهما مستمرا ولكن بصوت غير مسموع الا انه سمع فجأة
رنة قبلة حارة فلم يملك نفسه ومرا امام الباب لكي يشعر به ثم جلس في
مواجهتهما فاذا بها جالسة كما كانت من قبل وهي لا تزال تبكي

ولو ان موكلي كان يحب زوجته حبا قائما على مجرد الشهوة وان
غيرته عليها لم يكن الدافع اليها غير ثورة النفس البهيمية لكان انقض على
بنتيش وخنقه عندما طرق اذنه صوت القبلة ولكنه ذكر ان ذلك الميل
الذي بدأ يربطهما ببعضهما ببعض ربما نشأ رغما منهما بخطائهما حين اطلق
العنان لحسن ظنه بهما حتى انه توسل اليهما في كبح جماح عواطفهما على ما
تقدم. لذلك رأي نفسه مضطرا الى احتمال تلك المقابلة الاخيرة بقلب مجروح

ولم يشأ ان يكدر عليهما صفو ذلك الوداع الذي كان نتيجة طبيعية للحالة التي وقع فيها كل منهما مادام أيضاً أنه سيعقبها عودة المياه الى مجاريها بين زوجته وبينه فما الذي يطلب عند قلب من الحلم والطيبة بعد هذا؟

على أن بنتيش بعد ان اجتاز الصالون ونزل لحق به لسفتسكي فأعلنه انه سيرحل الى مزرعته ويختفي ولكن على شريطة ان لا يقسو عليها أو يعذبها والا فانه لا يفلت من محاسبتها

وعلى اثر هذا الحكم ... الموجز المنتفخ بالعظمة انصرف ولكن بعد ان تناول طعام الغداء مع الجميع

ومع ذلك فقد استرسل هذا الرجل في وقاحته اذ عاد يذكر أمام موكلي من العبارات ما هو خارج عن حد الأدب جارح . بل اتضح أيضاً انه لم يصح عزمه على البعد عن امرأته وأنه مع علمه بأن زوجها لن يمسه بأذى وأنه بالعكس يتودد اليها ويستجدي حنوها كان يتحرش به ويدفعه الى أساءتها ليجد من ذلك سبباً يعود به الى أخلاف وعده

ثم أليس من الغريب أن يضع هذا الرجل اللفظ نفسه موضع القاضي منهما فيهدده بمحاسبته اذا هو حدث نفسه بالاساءة اليها بدلا من ان يخز عند قدميه يطلب عندهما العفو والمغفرة عن خيائته

ولقد كانت غيبة بنتيش سبباً في صلة ما انقطع بين الزوجين وعلى الأخص في اليوم التالي حيث كانت تبكي وهي تسأله اذا كان حقيقة لم يتنبه الى ميلها لبنتيش ثم تقول له أنها أصبحت في اسوأ حال وانه لو تركها الى نفسها ربما عمدت الى الانتحار . ولذلك كان يطيب خاطرها وهو يرسم أمامها في الهواء اشارة الصليب مبتهلا الى الله ان يصرف خواطرها الى الطريق السوي

وفي الواقع ان حالة هذه المرأة كانت لا تزال قريبة من الخطر وهي تشعر أنها ما زالت تحت تأثير ذلك الشيطان وانه لم يزل يجري في دمها سم قبلاته وان ولعها به لم يزل ساطعاً قويا ولكنها مع هذا أيضاً كانت تشعر بانعطاف زوجها نحوها ورقته معها وانها قد لا تجد لها شريكاً خيراً منه في حياتها وانه سيعمل دائماً على مرضاتها وأسعادها غير خاف عليها أيضاً أن بنتيش لم يكن غير غاصب فخور محب لنفسه ليس له قلب ولا في جوانحه رحمة وهكذا تشعر بمرير الألم وتتردد في السبيل الذي تتبعه .

ولما عاد لسفتسكي ساعة الغداء ولم يجد خصمه طار قلبه من الفرح ولكن « برج » صديقة زوجته اسرّت اليه انه لا يزال بالمدينة وأنه عند الساعة السابعة من المساء سيكون عند حماته حتى صباح وهو على أشد حالات الاتفعال : متى نخلص من وجه هذا الرجل

ولقد صبح ماروته له برج فان بنتيش في تلك الساعة التي ذكرتها كان عند حماته وهو يوجه الى ابنتها نظراته من طرف خفي حتى ان لسفتسكي اوصى برج بمراقبتها لاشتغاله بمداخلة ابنته . ولكنه مع ذلك لم يتحمل مثل هذا المشهد ولم يقو على ضبط نفسه فاسرع الى غرفة مكتبه وبعد أن أشعل الشموع دعا بنتيش اليه ليتفاهم معه للمرة الأخيرة

ولقد طلب منه ان يغادر منزله في الحال وان لا يحدث نفسه بالعودة اليه بعد ذلك ولكنه هذه المرة كثر له عن نابه وصرح له بما فهم منه أنه لن يتنازل عن هذه المرأة وأن كان لا يحبها بدعوى أنه يحرص على حمايتها منه . . . وانه ما صبر الى تلك اللحظة الا ليحصل على طلاقها ولو بذل في

ذلك كل ماله . وعندئذ صاح موكلي في وجهه : كيف تجرأ ايها الرجل على عرض مثل ذلك علي ؟

اما هو فعاد الى نعمته القديمة من ان تعلقه بالراقصات اكبر دليل على الزنا وايسر سبيل الى الطلاق فصرخ فيه « اخرج من منزلي »

ومن أغرب الامور أنه لم يستح فقال اني لست بمنزلك وانما بمنزل حمائك ولكنه لمح ما كان فيه موكلي من توران النفس واشتداد الاعصاب فانسحب على انه لا يعود ولكن على ذلك الشرط السالف من احسان معاملتها والتصريح لها بالسفر لمعالجة نفسها بحيث اذا بلغه فيما بعد غير ذلك فلن يفر من قصاصه وقد يقتله

ولكنه تهديد كاذب في الواقع لأن مثل بنتيش الغني النبيل لا يورط نفسه في مثل هذا الجرم

واذا كان موكلي قال له : « اذا كنت تظن انك تخيفني فأنت اذن تجهلني » فاسمعوا ما اجابه به وقد تهيأ للانصراف : « اذن أنت تجهل ما هنالك ايضاً حتى ظننت اني امتنع عن العودة لهذا البيت »

قال ذلك واختفى ولسفتسكي ذاهل باهت يمزق احشاءه الا لم فما معنى ذلك . اتراه أخذ الأمان الطويل عند زوجته او أنه هو وهي أصبحا حديث الناس فلم يعد سبيل الى تدارك الأمر ان بنتيش كاذب من الذي يسمعه أن يضع حدا لكل هذه الاحزان القاتلة . ومتى يفارق ذلك الوقع هذا البيت فيعود الى سكوته الماضي .

ومع ذلك فبالرغم من اضطراب لسفتسكي حين صعد الى حماته على

رواية انا برج لم يكن عنده أية نية للقتل حتى انه لم يمر بغرفة نوم امرأته
وفيها مسدسه .

ولكنه رأى بنتيش لا يزال كما كان يسدي النصح اليها حتى ضاق
صدره وفرغ اصطباره . وعندئذ خرج الى الشرفة غير أن برج هرولت
اليه قائلة ان بنتيش ذكر لزوجته انك جبان لا تحسن غير البكاء

ولقد كانت هذه الأهانة حثالة الكأس التي تجرعها فغاب عن صوابه
ولم يتنبه الا على صوت المسدس الذي اطلقته يده وهكذا تلاشت نية القتل
تحت جلباب ذلك الدخان الذي انتشر على اثر تلك الطلقة

ان مثل هذا يحصل لكل منا ايضا حين ترزح نفوسنا تحت سلطان
المؤثرات وهي تصب عليها آخر نقطة من سموها

انكم تحسون قوة تلك الزوبعة النفسية حتى ان لسفتسكي لم يشعر الا
بشيء واحد وهو ان الحق اصبح ليس له وجود فاندفعت يده لا تعرف ماذا
حركها وما حركها غير حكم السماء الذي له وحده السلطان على كل شيء

هكذا نطقت الاقدار بحكمها في بيت الخطيئة وكم كان رائعا مهيبا ذلك
الحكم العادل الذي انطق المتهمين الثلاثة بعد صمتهم فصاح بنتيش الي بطيب
وكان اولى له ان يقول ساعني يا لسفتسكي وقالت المرأة اني احبك يا زوجي
كأنما استيقظت مرة واحدة من حلم مزعج كان يعذبها اما الزوج فصاح اين
ابنتي تلك الطفلة التي لم تغش احدا ولم تخدع أحداً

وهكذا اتجهت نفس كل منهم الى ما هو عزيز لديها

والآن وقد انتهيت فلم يبق الا كلمة واحدة اقولها وهو أن الاحياء

والموتى في حوادث القتل لا يفرون من حكم الأقدار

ربما كان مادونه مارسيل برينفو الكاتب الفرنسي الشهير في رسالتي :
« النار وارحمي » خير صورة ناطقة بما يكون من وراء الاختلاط من الخطر
وقد يظن القاريء انه ذهب فيهما الى ابعد من الحقيقة ولكن الذي يعرف
مبلغ انتشار العلم والتهديب في تلك الأصقاع وسهولة الاتصال فيها بين
الجنسين لا يستقر على مثل هذا الظن

على ان ماصوره لنا لم يخرج عن سلطان الطبيعة البشرية فأني امرأة
كائنة من كانت تجدد نفسها امام فتى جميل وتحت تأثير نظرات جذابة ساحرة
لا يهن عزمها ولا تنحل قواها فيفلت سلاح حياؤها من يدها

انه اراد ان ينبه مواطنيه في قطعة (ارحمني) الى ان الحياء مع الجهل
خير مائة مرة من التريبة في غير حياء ولولا ذلك لما وقعت صاحبة تلك
الرسالة عند الحد الذي تصون به شرف طهارتها وتظل عنده الزوجة الأئمنة
الوفية لزوجها وهي جاهلة يمكن التأثير عليها وفقيرة من السهل غوايتها ولكن
الحياء كان رأس مالها وسلاحها وكل شيء فكان العلم مكان الجهل والغنى
عند الحاجة والسيف الماضي الساهر على طهارتها في تلك اللحظة التي كاد
ينهار عندها صرح عفافها

اما ماصوره لنا في رسالة (النار) فهو خير ما يقدر على اخراجه للناس
قلم كاتب حكيم بصير يبكي على الصون ويستنهض ما مات من النفوس حتى
لا تذهب البقية الباقية من مكارم الأخلاق :

« لقد اشتعلت النار في بيتك فاسرع الى اطفائها قبل ان تلتهم كل شيء »

نعم انه في هاتين الرسالتين اراد ان يقف بنا عند مضاء هذين السلاحين
سلاح الحياء ولو مع الجهل في الرسالة الأولى وسلاح التربية مع النبل في
الرسالة الثانية

على أننا نرى أيضاً فيما صور كيف كانت هاتان الزوجتان الطاهرتان
مقدرتين موقفهما حائرتين مترددتين ولكن صريحتين فأسرعت الأولى
توقف ذلك الصديق الخائن عند حده وأسرعت الثانية تنبه زوجها الى تلك
الشرارة التي توشك ان تصبح ناراً

وربما كان الدفاع الأخير خير لسان للواقع يخطب في الناس لعله
يصادف اسماع اخلاقهم ويزحزح يده طرف اللثام عن الاساليب الشيطانية
التي يتذرع بها بعض الساقطين الجريئين في العبث بعفة السيدات من طريق
افساد اخلاقهن بأفساد اخلاق ازواجهن . وهكذا وقفنا بالرسالتين عند حد
تدارك الاخطار المؤذنة بالوقوع ولمسناها بالفعل عند هذا الدفاع مما فيه
عبرة وعظة .



عدوى الأزياء

(سبب هذه العدوى . ميزان الأزياء . مضار بعض الأزياء في الصحة وفي الاخلاق .
مكاتب التخديم . مستحدثات في اللغة . مزاحمة البغيات . كلمة للأمام مفتي الديار المصرية
الشيخ محمد عبده . الوجد الكاذب)

كما ان الافكار يؤثر بعضها في بعض على ما سبق في الباب السالف فان
من الأشياء ما يؤثر أيضاً في النفوس

ومحل هذا التأثير على كل حال خلوة المرأة من العمل والمال دائماً مادة
الشهوات فتعتمد الى سد هذا الفراغ على أي وجه من الوجوه وأقربها الزينة
وهي الشغل الشاغل للنساء من قديم حتى في البلاد المتوحشة التي يتحمل
نساؤها ألم الوشم وخزم الآذان والأنف والشفة لا شيء غير مجرد الظهور
لأن السيدات فطرت نفوسهن على سماع الناس يتمدحون بهندامهن ويثنون
على ملاحظتهن والغواني يغرهن الثناء وهكذا أصبحن جميعاً يتزاحمن على الأزياء
كما يتزاحمن على النور لا لكي يرين أكثر ولكن لكي يظفرن أكثر
ولو أن الأزياء تقف عند الحد الذي يسمح به العقل ويتفق مع الاحتشام والمصلحة
لما عابها أحد لانه لا يوجد انسان يكره ان تلبس الفتاة والسيدة ثوباً مع
احتشامه بين عن محاسنها ولا يؤثر في صحتها وراحة أعضائها ولكن الحاصل
غير ذلك فما رأينا سيدة تفكر في كل زي جديد ترز به بميزان العقل والحكمة
والاقتصاد . تقبل عليه اقبال الجائع النهم على الطعام وان لم يكن جيداً فيصيبها
المرض والافلاس من جراء اسرافها كما تصيب معدته التخممة بسبب نهمه
ومن الغريب أن كل الأزياء التي نراها ضارة في الغالب بالصحة والخلق

ومع ذلك تشعر السيدة بأنها اسيرة حكمها فلا تجد في نفسها قوة على الافلات منها

وهل ينكر احد مضار الاصباغ والمساحيق التي تطرحها كل يوم على وجهها ويديها وقد لا تخلو من سموم تؤذي بشرتها او تنفذ من مسامها الى دمها أو تسد تلك المسام فتحول بينها وبين التنفس من هذا الطريق ومن ينكر مضار المشد يضغط على خصرها وان شد على أمعائها وألمها بصرف النظر عن القراقرير التي تصيب السيدات وليس كل هذا الا اثرا من آثاره

وقد تتحمل الأذى بسبب ضيق حذائها والتحجر الذي يصيب راحة قدميها واطراف اصابعها

ثم أنها ترغب عن الثوب الواسع الى الثوب الضيق لانه لالتصاقه بجسمها تظهر منه اعطافها الناعمة اللينة وحدود جسمها وما يعترضها من التواء والتجويف والانعراج

وقد عز عليها أيضا ان لا تقع العيون على جمال ساقها فأخذت تقصر من ثوبها وان لا تظهر محاسن ساعديها فرفعت عنهما عبء الاكمام حتى قال بعض الظرفاء ان ثوب السيدة كان من عهد قريب طويلا ولكنه اخذ يقصر سنة بعد سنة حتى اصبح طرفه الآن قريبا من نخذيها ثم طلب الى الله ان يعيش سنة اخرى ...

هكذا هان على السيدة المصرية ان تعاني الألم في سبيل التأنيق وان تظهر سافرة تحت نقابها الشفيف عارية السواعد والاكتاف والصدر حتى لا تحول بين ملاحظها وبين الا نظار ومادرت انها في الحالة الأولى تهيء نفسها لفواتك

الأُمراض ونسيت في الثانية ان مثل هذا الثوب تتبخر من فتحاته العفة كما قال فولتير

على أن تطور الازياء السريع يدفعها سلطانه الى التخلي عنها واقتناء غيرها من الازياء المستحدثة . ومثل هذا يقال أيضا في كل مابقي من وسائل الزينة وعلى الأخص الحلي تدفع فيه ثمننا مقابل ذهبه و ثمننا مقابل صناعته ولسكنها اذا باعته باعته على انه ذهب لا قيمة لصياغته التي ابطالها حكم التطور وفي هذا التنقل المستمر اسراف لا يقف عند حد وقد ينتهي بالتروة الى الزوال

واذا كان هذا حال السيدة الميسورة فماذا يكون من امر الطبقات المتوسطة او الدنيا وشهوة التقليد والرضوخ لحكم الازياء آخذان برقاب الجميع ان مثل هذا الغرام المتقد يدفع المرأة الى الحصول على المال من أي سبيل لكي تسد فراغ هذه الشهوة التي تنتقل اكثر من تنقل الفصول فتضطر الى السرقة او الى غيرها من السبل الخائفة للعقاب لهذا كله انتشر الفساد .

الوجد الكاذب

سيدي المحترم

لولا اضطراري الى السفر لأتعهد مزارعي لما فارقتك وقد ملكني حبك وسحرني اخلاصك في نصحك بسبب انصرافي عن الزواج حرصا على شبابي وعلى مستقبلي ولقد حاولت كثيرا أن ابتعد عن المناقشة معك في مسلكي ولكنني اليوم

اذكر لك طرفا من الاسباب التي دفعني اليه

ربما لم يخف عليك ما أصبح عليه نساؤنا وقتياتنا في هذا العصر الجديد
وقد ارخى لهن أولياءهن عنان الحرية فجمحت بهن
ان انصرفن الى الحوانيت لقضاء حاجتهن بأنفسهن وخروجهن للنزهة
والرياضة كل هذا امر غير مكروه لذاته ولكن الذي يتعقب حركاتهن
لا يلبث أن يرجع متقرزا شاكيا يندب الحرية ويرثي الحياء في هذه البذرة
الغالية التي اذا لم تسق من الآن بالتربية والأدب الصحيح اثمرت في
المستقبل خرابا وندما

الم ترهن في القاهرة كيف يخرجن زرافات كأسراب الطباء تفلتت من
البادية او كأنهن فرقة من فرق المطافيء ولكن لتزيد النار اشتعالا
ومما زاد الطين بلة ان أغلب الموامس وبنات الهوى لما رأين تأثير الازياء
لهن في النفوس صرن يخرجن هن ايضا في مثلها فاصبحت مشاعا بين الحرائر
وغير الحرائر والتبس الأمر وتسربت الى اذهان الناس الشكوك . ولعلك
لمست الآن سبب بعدي عن الزواج مع انه نصف الدين .

ومن الغريب ان هذا الداء سرى حتى الى الطبقات الأخيرة من الأمة .
وهذه حادثة صغيرة وقعت لي قبل سفري تتبين منها اني لم اخطيء في مسلكي :
قبل أن ابلغ ميدان الأزهار لحث على بعد عشرين مترا مني امرأة
معتدلة القد وافرة الجسم حسنة الزي تمشي الهوينا وهي كلما خطت خطوة
اهتزت معاطفها ورأسها يتمايل يمينا وشمالا كبندول معكوس يحركها النسيم
والزهو ويداهما مختلفتان في قفاز ناصع البياض تتدلى من احدهما حقيبة
طويلة السلسلة .

هزني هذا الشكل الأنيق فدق قلبي وتحركت نفسي وأسرعت لأصل
إليها وأملأ عيني من حسننها ولسكتني خفت السنة المارة فعدت إلى سرعتي
الأولى وأنا لا أزال بعيدا عنها

وأخيرا عرجت إلى شارع آخر قاطع للشارع الذي أسلكه فكانت
فرصة لم أفلتها حيث أسرعت من جديد لألحق بها وأنا مضطرب البال مفكك
الخطاير أحدث نفسي بأنني أصبحت على باب كنز من كنوز الحسن والملاحة
حتى إذا صرت إلى جانبها وأنا أقتل شاربني وأحلق بعيني أسقط في يدي ودارت
رأسي لا أثني لما وقعت عيني على وجهها ... اسودّت الدنيا في عيني! ^(١)



(١) لأنه وجدها جارية سوداء

الموامس

(لعبة المدنية . الأُغراب . لائحة العاهرات . القبقاب . الجندي الأسترالي
نوسيريس يا حبيبي .)

من ذا الذي ينكر أن البغي مخلوق شقي

إنها لعبة خلقتها أهواء المدنية لمجرد اللهو وصورة من صور اللذة
البشرية قضت بها شهوة الاجتماع حتى بلغ من أمرها وأمر أمثالها أن أعدت
للبنيات مناطق خاصة ذات مسميات مختلفة اعجبنى منها ما وضع لاحداها بأسوان
وهو « الأُغراب » .

نعم أن أولئك البائسات أُغراب حتى في بلدهن . اختطفهن من حجر
الفضيلة ناموس العصر الجديد ثم أحاطهن بسور منيع من القوانين ضيق
الحناق على حريتهن حتى في نفس بيوتهن فلا يصح أن يظهرن في النوافذ
أو يقفن على الابواب أو يخطرن في الطرقات لكي لا يكن سببا في تحريض
الناس على الفساد .

أنني لا أرى معنى لهذا التضييق الشديد مع أغفال أمر الحجاب لأن
أغلب السيدات يمرحن في طرقات المدينة على ما وصفناه من التبرج الحرك
للنفوس المثير للشهوة فلماذا لا يكون لهن نصيب من مثل هذا التضييق
ما دام أن الغرض الحيلولة بين الفساد وبين الناس حتى حسبنا أن الحجاب رفع
عن هؤلاء ليضرب على ذلك النفرة القليل البائس ؟

لا أود أن أقول مع سولون أن الشرائع كنسيج العنكبوت تصطاد
الضعيف ويفات منها القوي لأن في وسع الحكومات حماية أولئك الشقيات

بنظام وافية شديدة تكفل صون العفاف كأن تسد حاجة الفقيرات من طريق
العمل الشريف وتعلم الجاهلات وتقرض عقوبات مختلفة على من لا يتزوج
عند سن معينة وتضرب على يد الأزواج الذين يسيئون الى زوجاتهم بغير سبب
ومن يدري أن من بين المواسم من هن أرق من النور وأنضر من

الزهور يصح ان تكمل بالزواج بهن سعادة البيت

ومن يدري انهن لم ينغمسن في ذلك الفساد الا لسبب من تلكنم الاسباب
البغي كالزهرة الا ان اكمامها تتفتح في الليل عند فجر الشموع .

هي عروس الليل تملأ العيون نوراً ونشوة حتى اذا ضحك الصباح

هالك ما فعلت بوجهها الصبوح يد السهر واللهو والشراب

وترى ذبولها فتحسب أن الطبيعة اقسمت الا ان تتقاضى من صحتها

بالنهار ربها مضاعفاً جزاء ما تلقى عليها من مظاهر الانس الكاذب بالليل .

ثم ماذا تكون خاتمة هذا المطاف ؟

الفقر في آخر حياتها وليس هناك مشهد أشد تأثيراً من منظر الرذيلة

في أيام شيخوختها

أو المات العاجل الذي لا يصبر على حياة مضطربة مشررة كحياتها

فتذهب من هذا العالم الذي ظلمها غير مبكي عليها

أردت ذات يوم من أيام الحرب العامة أن أودع صديقاً مسافراً

فاصطحبت معي الى المحطة احد رفاقي ثم أخذنا نتمشى حتى اذا دق الجرس

هرولنا الى الأفرز المتوسط الذي يصل بنا الى القطار والناس يتدافعون في

لغط وهرج شديدين الا انني طرق سمعي صوت غريب متوازن (طريق

طراق) له وقع سنابك الخيل فأخذت أدور بعيني من حولي فلا اهتدي
الى مصدر هذا الصوت وهو مع ذلك تقترب رناته المتعاقبة مني .
ولقد بلغنا اخيراً عربة الدرجة الثانية فوقفت بعيداً وارتكزت الى
مسند المزلقان الذي هناك فوقع نظري على بغى انتعلت حذاء خشبياً والى
يمينها جندي استرالي يبلغ الخمسين من العمر انتهب الشيب نصف رأسه وهو
يحمل فوق ظهره رزمة ضخمة حوت متاعه .

وكان بنني وبينهما نحو ثلاثة امتار وهما عند آخر عربات الدرجة الثالثة
حيث صعد الجندي اليها وبعد ان وضع عنه حملة أطل من النافذة والبغى
أمامه على الأفريز وعند ذلك أخذ يخاطبها بلسانه الذي تجهله فتقتصر على
الرد عليه بهاتين الكلمتين : « نوسير يديس يا حبيبي »

أما صديقي فقد استهجن استغراقه في النظر اليها قائلاً انك تضعي زمنك
في منظر عادي كهذا فهل لم تر أبداً جندياً الى جانب بغى .
قلت بلى . ولسكني اليوم أراها بعين اخرى ملؤها الحسرة والدمع لأن
اهتمام هذه الفتاة بهذا الجندي وتوديعها أياه لم يكن الا لأنها قضت معه
ليلة الامس وسحابة اليوم

قال صديقي وأي شيء غريب في ذلك فقلت أن هذا الجندي قائم الآن
على ما اظن الى احد ميادين القتال وهو يجهل ما تخبأ له في صدر الغيب من
عطب او سلامة وقد جرت العادة عند كل جندي مثله في ظروف خطيرة
كهذه ان يترك لنفسه الغنان وأن يزودها لآخر لحظة بشيء من
مجالى السرور والانس .

كذلك هذا الجندي البائس لم ير قبل أن يسلم نفسه لكف الاقدار

العباسة خيراً من أن تحسو نفسه في تلك الليلة أقصى ما يمكنها من كأس
الحب وإن يقضي مع هذه الفتاة ليلة سكر ولهو تنسيه همومه وتشجعه على
استقبال هول الغد الذي ينتظره

نعم أن من الساعات ما تضم دقائقها المتقاربة مسافات بعيدة لماض أليم
لا تمحو مرارته إلا ليلة أنس كتلك التي قضاه معها
وبينما نحن كذلك كان الجندي ينظر إليها بعين ملؤها الوفاء والحنان والأكبار
والمسكينة ترسل ضحكا عالياً مكررة: « نوسيريديس يا حبيبي »

وعند ذلك صاح صديقي أن هذا الجندي مجنون لا حتفائه بأمر بغي
كهذه ساقطة فقلت نعم أنها بغي ولكننا نحن الذين أسقطناها . احسبتها
ليس لها كنفسك نفس تشعر وتنام . انها ما أعطت قلبها لهذا الرجل الغريب
عنها في تلك الليلة ولكنها باعته له بيعاً وقد يكون الدافع لها الى اختيار هذا
السبيل الجوع القاسي الذي لا يرحم فانظر كيف تفعل الحاجة بالفتاة الطاهرة .
ظلمتها قسوة الاجتماع ونحن ايضاً ساعدناه على ظلمها اذ لم نأخذ بيدها وننتشلها
فلم يحال اخيراً بيننا وبين العطف عليها ؟



تربية الاخلاق

(الطفل عجيبة تأخذ شكل قلبها . تأثير الدين في تربية الطفل . نصيب الدين في المدارس . الاقتصاد)

تتعهد الأم طفلها الى السنة السادسة والسابعة من عمره ثم ينتقل بعد ذلك عبء الواجب عنها الى كاهل المدرسة .

فالفترة التي بين مولده وبين تلك السنة فترة جدية بالالتفات لأن الطفل في أول نشأته كالعجيبة اللينة تأخذ شكل القلب الذي تصب فيه فإذا كان القلب مشوهاً خرجت تلك العجيبة مشوهة

على ان الطفل في أول سنه من اكبر المقلدين فهو يتعلم لغة أبويه ويعرف معنى الحركات ويميز بين النافع والضار ولكن اثر هذا التقليد يتأصل فيه مادام كالعجيبة والعود اللين متى يبس استقر عند الشكل الذي أخذه ولا ينكر احد أن خير طريق لأشرا به محاسن الاخلاق هو الدين لسببين اولهما أن الطفل الصغير أخوف الناس يتأثر لاقل شيء حتى اننا كثيراً ما نلوم الأبوين اللذين يدخلان الى ذهن طفلها صور العقاريات والمردة فيشب جباناً . فلماذا لا يدخلان اليه بدلاً من ذلك ثواب الله وعقابه ويذكران له دائماً ما للصالحين من نعيم وجنته وما للطالحين من عذاب ونار فيكون له من ذلك متى شب خير ذخير من ذخائر الاخلاق

وثانيهما ان للعقائد قوة سريعة التأثير متى حلت قلب الطفل اختلطت بنفسه اختلاطاً يجعل من الصعب نزعها حتى أن الانسان اذا حاول أن يحلل

أي مذهب من المذاهب ليكتشف أصوله وعمله في خلال الزمن الذي يستغرقه استرساله في هذا البحث يكون هذا المذهب قد حل من نفسه محلاً مكيناً

لهذا كان من الواجب أن يكون الأتوان على جانب من الصلاح وكرم الأخلاق حتى يمكنهما في الفترة التي ذكرناها أن يهيئنا طفلها لحسن الأخلاق وأن تعني مدارس البنين والبنات بعد ذلك باستكمالها وتمكينها أقول ذلك لأنني أجد كل مدارسنا مهمة هذا الطريق السوي . نعم أن من بين موادها الدين ولكن الأسلوب المتبع فيه أسلوب عقيم لأنه غير واف وغير عملي

ولقد علمت من أحد أولادي أن المقرر لتعليم أصول الدين والتهديب حصتان فقط في الاسبوع وهو شيء قليل جداً فكان من الواجب أن تعلم هذه الاصول للتلاميذ يومياً اسوة بغيرها من باقي المواد ولقد قال أيضاً أن هاتين الحصتين تشغلان أحياناً بمواد أخرى كاللغة العربية وسواها ومع ذلك فإن تعليم هذه المادة في حكم الاختياري ما دام التلميذ لا يتمتع فيها ولا يكون لها أثر في نجاحه عند نقله من سنة لأخرى . وفي ذلك من الخطر ما يدفن هذه المادة دفناً كما حصل للغة التركية واللغة الافرنسية وما كانتا في آخر عهدهما الا اختياريتين

على اني أطمع أيضاً في تلقين هذه الاصول بطريقة عملية باجبار التلاميذ على الوضوء والصلاة في أوقاتها تحت نظر المعلمين أنفسهم وما كانت الصلاة الا كسائر أنواع الرياضات البدنية التي يحرص نظام المدارس عليها كل الحرص . واذا كان من بين التلاميذ آخرون من ملل أخرى فهذا

لا يمنع من الزامهم باتباع أصول دينهم أيضاً والعمل بها وفي ذلك مزية
ايجاد الألفة بين قلوب الجميع وجعلهم يعتادون من الصغر على ان يحترم كل
منهم دين قرينه^(١)

بمثل هذا لا يخرج الطلبة من المدارس الأولية الا وقد رسخت في
نفوسهم أصول الدين وثمراته والأديان كلها تهدي الى مكارم الأخلاق
اما في المدارس الثانوية فمع ملاحظة الطلبة في تأدية فروضهم اليومية
توضع لهم كتب في التهذيب مسببة مع السهولة على مثال كتب الاخلاق
التي تدرس في البلاد الغربية لان المصلحين في تلك الاصقاع اهتموا لذلك
اهتماماً يدل عليه كثرة الكتب التي من هذا النوع

وليس غرضي من التوسع الا أن يفيض المؤلفون في الأسلوب الذي
يتبعونه عند ذكر الحكم وتحليلها وضرب الأمثال عليها ورد الشبه الموجهة
اليها حتى تظهر للطالب في ثوب شفّاف انيق يأخذ بلبه ويقنعه وما أخرجنا
الى الفهم من طريق الاقتناع

(١) راجع الفصل الثاني من سر تطور الأمم للدكتور جوستاف لبون
تعريب فقيدهم العلم احمد فتحي زغلول باشا في أن الدين أسرع مؤثر في الاخلاق.
للدين شأن كبير في سياسة الأمم لانه هو العامل الوحيد سريع التأثير
في اخلاقها

وتأسيس اكبر الممالك التي أدهشت العالم كان في عصر تدينها . كذلك اتحدت
بعض قبائل العرب بفكرة محمد (صلمه) فاستطاعوا قهر امم كانت لا تعرف منهم
حتى الاسماء وشادوا تلك الدولة الكبرى. وترجع السعادة الى أحوال النفس اكثر
مما ترجع الى الاحوال الخارجة عنها

هذه كلمة عن الشيب أذكر انني قرأتها في احدى تلك الكتب القيمة
تعد خير نموذج لذلك الاسلوب الذي اتمنى اتباعه فقد أنحى كاتبها على
الكتاب والشعراء الذين اعتادوا أن يشبهوا شعرات المشيب بخيوط
الا كفان فيدخلون الرعب في قلوب الشيوخ حتى اذا رأى أحدهم بياضاً
في لفته استولى عليه الجزع وتمسكه الحزن وأسرع اليه ينتزعه او يخفيه وهو
انما يخدع نفسه قبل أن يخدع الناس . واذا رأى الشيخ لفيفاً من القتيان
انقبض صدره وأخذ يتعد عنهم حتى لا يتحسر على ماذهب من عمره وحتى
لا يكدر صفوهم عليهم مع أنه لا يزال له في هذه الحياة انفاس معدودة من
حقه ان يستوفيها ويستمتع بها لا أن ينظر في كل ساعة الى المرأة لان في
ذلك اتجاراً بطيئاً شريكه فيه تلك المرأة

ثم ان الدين يمقت خلة الاسراف ويحض على الاقتصاد ولكني أرى
المدارس لا تفرسه في نفوس التلاميذ من صغرهم حتى يشبوا عليه
نعم ان هناك نظاماً لذلك بطريق الصاق طوابع البريد على دفاتر خاصة
ولكن لا بطريق الزامي ولو بحسب مقدرة كل طالب

ان اقل ما يترتب على الاقتصاد ان التلاميذ في حياتهم العملية يجدون
فيه خير سلاح يشرعونه في وجه الأزياء وغيرها من وسائل الاتفاق الضارة
والاعتیاد على الاقتصاد اعتیاد على حسن التقدير والتصريف فيولد فيهم حب
النظام والترتيب اللذين هما أساس النجاح في كل عمل من الأعمال بل أنه
يخلق فيهم أيضاً ارادة وعزماً فتولد فيهم ملكة القوة على ضبط نفوسهم
وعدم متابعة هواهم وما كان المبدرون الا اخوان الشياطين .

كتب الديانة و اصول التمهيد

الحدث الاصغر والاكبر . الادلة الفقهية . الادلة المأخوذة من ظواهر الكون

أمثلة على تلك الظواهر . طريقة التعميم

وقع في يدي كتاب من هذه الكتب لاحظت أن بالخاصية التي في آخر الصحيفة السابعة منه : « (١) الحدث الاصغر هو كل ما ينقض الوضوء وأما الحدث الاكبر فهو ما أوجب الغسل كنزول المني والجماع الخ » وهذا الكتاب من الكتب التي تدرس لاطفال المدارس الابتدائية فمتى كان لازما أن تتفتح أذهان هؤلاء الصغار الذين لم يبلغوا سن الحلم الى مثل هاتين الكلمتين الأخيرتين وماذا يكون موقف المعلم مع التلميذ لو أنه سأله عن معناه مع أنه كان بوسعه أن يجمل في هذا الموقف كما فعل عند ما تناول الكلام على الحدث الاصغر . بل لماذا لما ذكر هذا الشق الآخر اقتصر عنده على أنه كل ما ينقض الوضوء ولم يتبع هذه الطريقة في الشق الثاني فاذا كان قد رأى أن من عدم اللياقة ذكر البول والفسو وما فوقه فهل كان من اللياقة أن ينتقل الى ما هو أشد من ذلك خطرا فيذكره مفصلا ؟ على أن هذا الاسلوب غير مشعر لأن اذهان التلاميذ لا تتسع للمعلم من طريق النظريات وحدها ولا سيما بالنسبة لأصول الدين

ولقد لاحظنا على كتب هذه الاصول عييين ظاهرين أولهما عدم الترحيح عن الادلة الفقهية المألوفة من قديم بغير مراعاة لسن الاطفال وقوة مداركهم وثانيهما بعد هذه الادلة عن الاستشهادات المأخوذة من ظواهر

السكون فتستدرجهم الى التلذذ بفهمها والاقبال عليها
خذ لذلك مثلاً ما جاء بكتاب الديانة والتهديب فأنت تجد يوضع مقدمته
في تعريف الواجب والمستحيل والممكن وهو شيء أشبه بالمنطق بالنسبة
لعقول الصبية الصغار . ألا ترى أن قوله الجسم لا يخلو من حركة وسكون
وأنه ليس بمتحرك ولا ساكن وأن كل شيء وجوده وعدمه سيان فهو
ممكناً وأن المتساويين لا يرجح أحدهما الآخر بلا سبب يعد من التعيرات
المعقدة بالنسبة لحدود أفهامهم حتى كأنك تتلو عليهم شيئاً من الجبر العالي أو
أو اللوغارتم وهم لا يزالون في أول عهدهم بمبادئ الرياضة الأولى
ثم إذا رجعت الى ما شرحت به العقائد في صدر هذا الكتاب لم تجد
من الامثلة الا ما اريد منه الوصول الى أن لكل مصنوع صانعاً للوصول
أخيراً الى أن هذا السكون وما حواه من يابس وسائل وحيوان ونبات
وجماد انما هو من صنع الله وبعد ذلك يرصد هذه الآية الكريمة « الله الذي
خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا
لكم الخ » بغير أن يدخل في أسرار هذه الاشياء وجمالها وارتباطها بعضها
ببعض ومنافعها فينمو في التلاميذ حب الاستزادة منها وترسخ في اذهانهم
عظمة الله تعالى بعظمة هذا السكون .

لماذا لا ننقل معهم من الليل الى النهار ومن النهار الى الليل ثم ندخل
بهم في جسم الانسان ثم ندعوهم الى السباحة في الماء والصعود في الهواء
والتقلب مع القصول وتتبع الطيور والحيوانات وما شا كل ذلك ونحن نكشف
لهم عن أسرار كل ذلك بعبارة بسيطة جذابة فيزدادون فهما وایمانا ويعتادون
على الجدل الصحيح من هذا الطريق الشيق السهل

نقول لهم مثلاً أن آلة التلفون كالملخ والاسلاك كالأعصاب وأن العينين جهاز نقل عنه جهاز التصوير الشمسي وأن القلب كاحدى الطلمبات التي في بيوتكم وأن الأمعاء كذلك الأنبوب الذي من المطاط إلا أنه يعمل ليل نهار مدى حياة الإنسان بغير أن يتعطل بالرغم من هذه الحركة الطويلة المستمرة ثم نشرح لهم وظائف أعضاء الجسم ونوقفهم بأيجاز على سر عملية الهضم والدورة الدموية والجهاز العصبي وغير ذلك

من غير شك أنهم ينصتون إلينا بشغف وشوق ويدركون أن جسم الإنسان مملكة واسعة « وفيك انطوى العالم الأكبر »

واني واثق بعد مثل ما مرّ أنهم يطلبون المزيد فنشرح لهم في أسلوب سهل سبب تعاقب الليل والنهار وأن الله تعالى راعى أن لا تنتقل من أحدهما للآخر دفعة واحدة فيؤذي ذلك ابصارنا وأجسامنا . فجعل لنا الفجر الكاذب ثم الصادق ثم شروق الشمس بالتدريج وكذلك عندما يؤذن النهار بالرحيل فلا تشعر عيوننا بصدمة الانتقال مرة واحدة من الظلمة الى النور ومن النور الى الظلمة وكذلك بالنسبة لأجسامنا بتقلها بين وسطين مختلفي الحرارة ثم نذكر لهم فضل الهواء على حياتنا بأوكسيجينه اللازم لتنفسنا وأن الله لكي يعيد اليه ما نأخذه منه جعل تنفس النبات بطريقة معا كسرة لطريقة تنفسنا فيعطينا الأكسجين الذي نحن بحاجة اليه ويأخذ الكربون الذي لا حاجة لنا به

وبمثل ذلك نذكر لهم شيئاً عن الماء اللازم لري عطشنا ولغذائنا وأن سطح البحار يتبخر بتأثير حرارة الشمس فيتجمع في السماء سحباً ينعقد بعضها عند رؤوس الجبال حتى اذا استحالت الى أمطار غدت الوديان والأنهار

وهطلت على البقاع البعيدة عنها كأنما هذه العملية طريقة ري سماوية حتى لا تحرم بقعة من بقاع الارض من الماء .

أما الفصول فنقول لهم عنها ان الله كان قادرا على جعل الجو دائما معتدلا أو حاراً أو بارداً ولكنه اراد ان يمنع عنا الملل لأن الصبر على حالة واحدة أدعى الى السآمة ولكي نوازن بين الحرارة والبرودة وما بينهما من الاعتدال فنذكر لذة كل منهما وبضدها تميز الاشياء

وكذلك بالنسبة لجمال الفصول وفوائدها فالشتاء المتلبد بالغيوم الكثير الامطار هو شهر النشاط والسعي ولكن نظراً لما يقاسيه الانسان في نهاره جعل الله ليله طويلاً . واذا كان هذا الفصل مقفراً من أسباب الزينة حيث تسقط فيه أوراق الاشجار وتسكن فيه الطيور الى غير ذلك فإن لنا من الربيع خير عوض لأنه فصل الحسن وصفاء السماء واعتدال الهواء تبتسم فيه الازهار مختلفة الالوان والاعطار

اما الصيف فيجمع بين الجمال والفائدة ترى ارضاً ذهبية وهاجة وقد نما الزرع ونضج وهناك الثمار اليانعة الزاهية وقد رأى الله ان يطول نهاره مع حره لانه زمن الجني والاستغلال ولكنه مقابل ذلك جعل ليله ندياً جميلاً وعلى هذا الأسلوب نذكر لهم شيئاً عن الخريف وعن غيره من كنوز الكون واسراره وليس مثل هذا الأسلوب بمستعص على معلم فطن ونحن نرى اهل الغرب يوقعون الشعب الجاهل على هذه الاسرار لا من طريق علمي متعب بل من طريق اقرب الى اذهانهم يسمونه التعميم (Vulgaris ation) فلماذا لا يكون لهؤلاء الصبية نصيب من هذه الطريقة فيدركون مبلغ عظمة الله الذي كرم الانسان وامره على هذا الكون العظيم البديع

الزواج

(القلط والنساء . التماثل في السن . تأثير الاخلاق في الزواج . الشك باب
الى الغيرة . سوء الظن . الزوج يجب ان يكون مثلاً حسناً . قلب المرأة كالمشور
الكثير السطوح . أحكام الطاعة . الزواج عقدة ثقيلة . رأي الغربيين في زواجهم .
سعادة الزواج بيد الزوجين . ما وراءك يا عصام)

من منا لم ير القلط ولم يخبر أحوالها
كان لي قط أبيض جميل الشكل له شعر غزير ناعم اذا وثب الى
نخذي اخذ يتمرغ فوقهما وهو يوسع بين اظافره ثم يضمها بعضها الى بعض
كأنه يتوثب لغرسها في كفي وانا أمر بها على فروه الحار اللين . ولقد يمد
الي عنقه مطبقاً عينيه الخضراوين وهو مع ذلك ينظر الي من خلالها ثم
يتشاءب فتبدو لي انيابه الصغيرة عند طرف لسانه الوردي الخشن
وما حركاته هذه الا الى حد محدود حتى اذا اطمأن على طعامه أصبح
اجنبياً يبتعد عني اذا ادنيتني ويعضني اذا حاولت ان امدي يدي اليه فهو حيوان
متنقل كتقل الالوان في عينيه ناعم خشن مولطيف خطر ومحب خداع
لا يجري الا خلف غايته حتى اذا حصل عليها قام بينه وبين صاحبه سد
وهكذا المرأة شأنها شأن هذا القط . تراها جميلة لينه رائحة تفتح لك
صدرها وتنظر اليك بعينها الصافيتين ولكنك لا تنزل الى ما وراء ذلك
الصدر ولا تصل الى قرار هاتين العينين . تقربك وتقصيك وتبعدك وتدنك
واذا بسطت لك ساعديها لتضمك عادت فاملست منك املاص ذلك الحيوان

الغريب حتى اذا اشعلت خواطرك وألهبت حواسك وحيّرتك فاشرفت على
اليأس أدنت منك فيها وطوقك ساعداها فتحسب انك ملكتها ولسكنها
هي التي ملكتك

انه اذا كان هناك شيء يضل عنده صواب الرجل فهو قلب المرأة
كاللجة البعيدة الغور او كتلك العلب التي نبتاعها لاطفالنا لانكاد نضغط على
مسار غطائها حتى ينبثق من جوفها على غرة منا ثعبان او شيطان او غيرهما
فالمرأة في الحقيقة مملوكة مملكتها صغرت تعجز سياستها فحول الناس وليس
على وجه الارض شيء يتعب اكثر من حراسة المرأة حتى قال سقراط : ثلاثة
من اكره الاشياء على نفسي : الاجرومية والفقر والمرأة . ولقد تغلبت على
الاولى بكثرة الدرس واستغنت على الثانية بالعمل والصبر ولكني لم أجد
لنفسي حيلة في المرأة . ولذلك اصبح كل عاقل لا يندفع الى الزواج قبل ان
يتردد طويلا ويفكر كثيرا

وعلى كل حال فالواجب قبل كل شيء ان يتأمل الزوجان في السن لأن
للطبيعة الانسانية سلطانا وحكما لا قبل الى دفعهما في كثير من الاحوال ونحن
نعلم أن القبلة يحصل عليها الغلام مجانا ويأخذها الشاب اختلاسا ولكن
الشيخ لا يحصل عليها الا اذا اشتراها .^(١) لان مثل هذه القبلة ليست قبلة
الحب التي تقف عند شفاه قرّب ما بينها التماثل والتجانس^(٢)

وتربية الاخلاق عليها مدار كبير في احكام الصلة بين الزوجين ودوامها

(١) راجع قطعة اخلاص واخلاص

(٢) راجع قطعة القبلة

لأنها تضع الناس جميعاً في موضع واحد ولكن التربية وحدها هي التي تميزهم بعضهم عن بعض .

وعندي ان الدين ^(١) هو أساس هذه التربية وعمادها فهو وحده الذي يحول بين النفس وبين شيطانها ويبتعد بها عن المواطن التي تغضب الله وتغضب الناس ومن ذا الذي ينسى قول الاعرابية

وذي حاجة قلناله لا تبسح بها فليس اليها ما حيت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه وانت لا خرى صاحب و خليل ^(٢)

فالمرأة التي من هذا القليل روضة يانعة من رياض الحياة ونعمة جزيلة من نعم الايام وكثر ثمين من كنوز السعادة . تنظر الى رجلها بعين ملؤها الشفقة والحب والا كبار والقناعة فلا ترهقه في شيء ولا تطلب عنده فوق ما تملك يدها ويقدر عليه مجهوده مهما اغراها شيطان الزينة حتى أن نساء صدر الاسلام كانت الواحدة منهن اذا خرج زوجها لعمل قالت له اتق الله ولا تكسبن الا من حلال فانا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار على أن امانة الزوجة وصلاحها يرسلان الى خواطر زوجها السكون وألى قلبه الطمأنينة فلا يعود يشغله عن عمله من جهتها شاغل

اما المرأة التي تدع الشك يتسرب الى قلب زوجها فأنها تحول بينه

(١) قال اميلو : ان القلب يدفع طالب الزواج الى الحسناء والمصلحة تدفعه الى الدمية والعقل وحده يدفعه الى المرأة الفاضلة

ولا يخرج ذلك عن معنى الحديث الشريف :

تسكح المرأة لجمالها او لما لها او لدينها فعليك بذات الدين تربت يداك

(٢) راجع قطعة الاعمى

وبين واجبه فيضطر رغماً منه الى التفكير دائماً في أمرها والسهر على حراستها
والغيرة عليها^(١) وليس اقل من سلطان الغيرة وأن كانت كل أمة وضعت
الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نساها لأن متاعب الغيرة ليست من
الامور الهينة حتى أن امرأة يزيد بن عبد الملك لما حملت قالت له وكان قيسح
الصورة الويل لك ان كان الولد يشبهك فصاح بها والويل لك أنت إن لم يشبهني
وما دامت المرأة وعلى الاخص امرأة العصر الحاضر مطية غير ذلول
ولغزاً غامضاً من ألغاز الحياة فقد صار حمل الرجل ثقيلاً في تفهمها واختيار
أنجع السبل لرياضتها وتذليلها

وربما كان اول ما يجب عليه اتباعه نحوها هو ان لا يحسن دائماً الظن
بها لأن في الاستمرار على ذلك استمراراً في الغفلة قد يجره الى اخطار
لا يكون من الميسور الخروج منها أو تلافيها.

وليس سوء الظن سبة او اهانة وانما هو كالزام يشده ويرخيه عند الحاجة
فيأمن كلاهما مواقع العثرة والزلل وان سوء الظن من اقوى الفطن^(٢)

واذا كان سوء الظن الى حد محدود أمراً تدعو اليه الفطنة وبعد النظر
والاحتياط فالولى بالرجل أذن أن لا ينخدع لدموع المرأة وابتساماتها فما
كان كيد النساء عظيماً الا بهما ولا كانت المرأة قوية الا حين تتسلح بسلاح
الضعف والخداع دائماً سلاح الضعفاء

(١) راجع باب الغيرة

(٢) اما قوله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن أن بعض
الظن اثم » فلا يفهم منه اجتناب الظن مطلقاً وانما اجتناب الكثير منه فهو غير
مكروه على كل حال

نعم ان شكوك الرجل لتسيل في مجرى هذه الدموع وان عزمه ليتلاشى في حرارة تلك الابتسامات لأن المرأة ماهرة قديرة على الاستعانة بهما كلما وقعت في خطأ أو انغمست في خطيئة وأدركت ان يقظة الرجل توشك أن تلمسهما . فالرجل في هذا المقام واجب عليه ان يحترس كل الأحتراس فيمسك مشاعره ويقف بين نفسه وبين شهوته فإنه لو فعل لافلت هذا السلاح الخطر من يدها وانكشف لعينه أمرها

بمثل هذا يصرع كبرياءها ويأمن خداعها وبمثل هذا تعتقد أنها عند حارس لا تغفل عينه فلا تلبث ان تعجب به وتجه حتى لتتخذ معبودها ^(١) ولكنه يجب أن يكون في عينها مظهر آ من مظاهر مكارم الاخلاق وكمال الصفات حتى لا تقع عينها منه على خسة أو نقص يدفعانها الى الاستخفاف به واحتقاره والخروج عليه لأن من الصعب على رجل كهذا ان يطمع في التأثير عليها مادامت نفسه غير خالصة من شوائب العيوب

وليعلم أيضا ان النساء كالقوارير كسرهن عسير جبره فليعاملهن برفق وليعاشرهن بالدعة واللين والمعروف يكسب حبهن فالمرأة كالزهرة لا يفوح أرجها الا في الظل على ان صيد الذباب بالعسل أنجح من صيده بالخل

ثم ان المضي معها الى آخر حد من حدود الشدة او الضعف كلاهما غير محمود فليسلك سبيل الاعتدال في كل شيء فلا يشتد الى حد القسوة ولا يلين الى درجة الضعف بل يكون وسطا بين ذلك فتسكن اليه تلك المخلوقة الجموح وتلين قناتها

ان المرأة كالمشور البلوري ذي السطوح المتعددة تضل الحقيقة بين
شتى الصور التي تعكسها فاذا لم يكن ما ذكرناه هاديا اياه اليها عز عليه
استبقاؤها وفرت من يديه وقد انصرف قلبها عنه .

وكثير من الناس من لا يقدرون خطر هذه الخاتمة فيعمدون الى سلاح
القوة لاستعادتها من طريق الاحكام الشرعية (احكام الطاعة)

ولكنني مع احترامي لتلك الاحكام لا أرى نفعاً فيها وقلماً أثمرت
الثمرة المقصودة بل أنها في كثير من الاحوال أدت الى ما غاب عن
حسبان الناس فان الزوجة التي أوصدت قلبها دون زوجها لن تفتحه له بعد
ما أغلقه شذوذ كل منهما

وكثيراً ما رأينا أن الزوجة التي تساق بمثل هذه الطريقة سوقاً الى زوجها
لا تلبث ان تعتمد الى الهرب او الانتحار على اية صورة لأن الطاعة لا تأتي
الا من طريق الحب والرضى

ولتعلم الزوجة أيضاً ان الزواج حالة مشتركة بينها وبين زوجها لا يتم
الغرض منها الا من جانبيهما معاً بل ربما كانت تسكّينها بالنسبة لها اكثر
منها بالنسبة له

ان الزواج وان كان عقدة ثقيلة الا انه الدواء الذي لم تجد الطبيعة
خيراً منه لمعالجة هموم الحياة والتغلب عليها وهو دواء ميسور لو انهما تساندا
وتفاهما وصبرا فانهما بذلك يذلان كثيراً من مفسدات هذه العلاقة المقدسة
المباركة وبعض هذه المفسدات وهمي واكثرها وقتي لا يلبث ان يزوب
وينفى امام اخلاصهما وأرادتهما

وربما كانت اعم ما يجب الفات النظر اليه هو عدم الاخذ بالنظم
والعادات المتبعة في امور الزواج عند غيرنا لان اكثرها لا يلائم احوالنا
ولا يتفق مع نظمنا .

ويكفي دليلا على ذلك مبلغ افلاس الناس في غير بلادنا في امر الزواج
فقد يئسوا من ان يجدوا عنده السعادة المنشودة حتى ذهبوا الى انه لا يدوم
اكثر من ايام شهر العسل مادام أن عمر الحب كعمر الزهرة لا يلبث الا يوما
او بعض يوم

اما الواقع فان سعادة الحياة بالزواج أمرها بيد الزوجين وحدهما ففي
وسعهما استبقاؤها وفي وسعهما خنقها والقضاء عليها .

اما قول هوجو ان من يطلب السعادة الدائمة عند الزواج كمن يطلب
الدوام عند الزهرة السريعة الذبول فهو قول على ما فيه من الخطر لا يدل على
اكثر من أنه تملكه اليأس كغيره . وربما لم يقل ذلك الا تصويرا لحالة ذلك
الافلاس التي ذكرناها لأن الزواج ماعون السعادة الخالدة لو عرف الزوجان
كيف يتذوقان طعمها ويحافظان عليها وفي وسع الزوجة أن تكون زهرة
متجددة عند كل صباح ومساء

ولكن الذي نراه في بيوتنا غير ذلك كما قدمنا في باب سابق فليفهم
الزوجان هذه الحقائق فلا يلبثان ان ينكشف لهما جمال الحياة فيعيشان سعيدين
ولقد جاء في امثال الميداني قوله « ما وراءك يا عصام » وعصام هذه
امراة قال لها الحارت بن عمرو ملك كندة اذهبي حتى تعلمي علم ابنة عوف
لأخطبها من أهلها فلما رجعت اليه ابتدرها بقوله « ما وراءك يا عصام »
فصارت مثلا

ولكن الذي أردناه من هذا الحديث أن ابنة عوف لما جهزت اليه
أوصتها أمها بهذه الوصية الذهبية البديعة :

«أي بنية ان الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك ولكنها
تذكرة الغافل ومعونة العاقل ولو ان امرأة استغنت عن الزواج لغنى ابوها
وشدة حاجتها اليها كنت في غنى عنه ولكن النساء للرجال خلقن ولهن
خلق الرجال

أي بنية انك فارقت الجو الذي منه خرجت وخلقت العش الذي فيه
درجت الى وكر لم تعرفه وقرين لم تألقه فاصبح بملكه رقيقاً ومليكا فكوني
له امة يكن لك عبداً وشيكاً

يا بنيتي احلمي غني عشر خصال يكن لك ذخراً وذكراً

الصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة والتعهد لموقع عينيه
والتفقد لموضع ألقه فلا تفتح عيناه منك على قبيح ولا يشم منك الا طيب
ريح والسكحل أحسن الحسن والمساء أطيب الطيب المفقود والتعهد لوقت
طعامه والهدو عنه حين منامه فان حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مبغضة
والاحتفاظ ببيته وماله والارعاء على نفسه وحشمه وعياله فان الاحتفاظ
بالمال حسن التقدير والارعاء على العيال والحشم حسن التدبير ولا تقشي له
سراً ولا تعصي له أمراً فانك ان افشيت سره لم تأمني غدره وأن عصيت
أمره او غرت صدره ثم اتقي مع ذلك القرح أن كان ترحا والاكتئاب عنده
ان كان فرحاً فان الخصلة الاولى من التقصير والثانية من التكدير وكوني
اشد ما تكونين له اعظماً يكن اشد ما يكون لك اكراماً واشد ما تكونين
موافقة اطول ما تكونين له مرافقة واعلمي انك لا تصلين الى ما تحبين

حتى تؤثرى رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما احببت وكرهت
يخير لك »

تاييس

﴿ دولة الفسوق . من الوحل الى الحول : هداها وضل . النساك وحكم الشهوة ﴾
ان تاييس ابنة خمار ملحد لم يعن بأمرها حتى وجدت فيها العجوز مروا
رشاقة ولينا فعلمتها الرقص والغناء والتمثيل
هكذا كانت تاييس بذرة كامنة في ارض الايام حتى اذا آن الاوان
خرجت منها وردة ناعمة وخليعة خلافة شادت بانطاكية واسكندرية دولة
للشهوة خدامها الحكام والامراء وبحراً للفسوق تموج لججه بالذهب تطأه
بقدميها اللتين ما عرفتا غير أوحال الفقر
ولقد ظل هذا شأنها كأسامترعة تقدمها يد الليالي للشفاه التي اعطشها
الهوى حتى بلغ بافنوس الناسك مدينة اسكندر الاكبر فلم ير واجباً خيراً من
هداية تلك الفتاة الضالة الى دين المسيح عليه السلام
ومن أعجب الاشياء ان هذه الفتاة الرقيقة الهيفاء الناعمة التي أصبح
لها السلطان على كل سلطان نفذت الى نفسها التي غمرتها الشهوة أنوار الهداية
فهان عليها ان تنزل عن ذلك النعيم الذي كانت تفرح في مروجها وانصرفت
عن زخرف هذه الحياة القاني حتى انها أحرقت قصرها الزاهي وما به من
اسباب المتاع والزينة لكي لا يبقى امامها أثر فتن من ماضيها

أما ذلك الناسك فكأنه أفرغ في نفسها كل ما كان في نفسه من إيمان وتقوى حتى إذا وجد الشيطان من ذلك الفراغ مرعى خصباً نفخ فيه من روحه فأشعله بهوى تلك الصالحة وهكذا ضل ثم مات خاسراً متاع الدارين هذه القصة التي تلخص في هاتين الكلمتين (هداها وضل) وضعها الكاتب الفرنسي القدير الطيب الذكر أناتول فرانس فصور لنا فيها حكمتين بالغتين: أن الشهوة قد تضل أزهدهم الناس وأن التقوى قد ترد النفوس الضالة إلى حظيرة الهدى

ويغلب على ظني أن هذه المقابلة بين الهدى والضلال في شخصين متعاكسين لم يجر بها قلم الكاتب عفواً وأنه قصد إليها قصداً لأن مثل هذا المصور القادر ليس ممن يتركون أسفارهم هدفاً لحكم المصادفات وهو من كبار المفكرين

أنه أراد من خلال هذا الأسلوب المعكوس أن يقضي على محاولة بعض الناسك محاربة نفوسهم وتحريرها مما غرسه فيها تكوينهم من حكم الشهوة لأن هذا في الواقع خروج على الطبيعة البشرية التي لا يغلب سلطانها والتي هي حاجة من حاجات الجسم كالطعام والشراب والنوم.

على أن هذا ليس رأي أناتول فرانس وحده فقد سبقه إليه كثير من الكتاب منهم أوسكار وايلد فإنه على لسان قسيسه في إحدى قصصه دافع دفاعاً طويلاً عن حكم هذه الحاسة وثورتها وارتباطها بمزاج كل فرد وتغلغلها في طبيعته التي لا تقهرها الأحكام

نعم إن هذه الشهوة كانت مشاعاً بين بافنوس وتايس بل إنها كانت أكثر تمكناً من نفسها وماضيها يدل على ذلك فكيف اهتدت وكيف ضل

حتى لقد يظن ان انا تول فرانس وقع في الخطأ حين استقر قلمه عند هذه الخاتمة ولكنه لم يخطيء لان تايس سئمت معدة حواسها هذا اللون المتكرر من طعام الشهوة فعافته ولذلك كان انتقالها الى نور الهداية اقرب من ضلال بافنوس الذي ظل طول حياته يحاربها وتحاربها وهي كلما حاولت ان تنفذ ضغط عليها حتى انفجرت مرة واحدة فكان انتقاله الى ظلمة العمياء انتقالا طبيعيا أيضا .

— الحياء —

(الحياء والعفة — الاعرابي والجارية — بارومتر الاخلاق — الوردية

المقطوفة — الشرف مجرم)

الحياء هو الباب الذي يدخل منه الفساد الى مخدع العفة .
خرج رجل في ليلة بهيمة فأذا هو بفتاة كالبدر بعثت في نفسه الشهوة اليها فراودها عن نفسها ولكنها صاحت فيه :

« اما لك زاجر من عقل اذا لم يكن لك ناهٍ من دين ؟ »

قال انه لا يرانا غير الكواكب فقالت واين مكوكبها ...

هذه الاعرابية ليست فقط موفورة الحياء بل انها ايضا كاملة الدين

والحياء شعبة من الايمان

ولو أنها كانت غير ذلك لما وقعت منه ذلك الموقف الذي يحسدها

عليه اترابها وجارته على ما اراد معها من السوء والاثم . واذا لم تستح فافعل ما شئت .

ولكنها غلب حياؤها عليها وعرفت قدر نفسها فسلمت من شره وأمنت
مزالق السقوط والخسة

وكثير من النساء تدفعن الصدف الى مثل هذا الموقف الكثير
الاجتار فيفلت سلاح عفافهن من ايديهن لضعف الطبيعة البشرية من ناحية
ولا اعتداء مثل هذا الرجل الجريء ونار الشهوة تتقد في نفسه من ناحية
اخرى ولكن حياء تلك الفتاة كان كالماء امتزج بخمرة تلك الشهوة فافسدا اثرها
وهكذا كان حياؤها لعفتها سيفا وكان لها قيصا ثانيا

وربما كان سلاح الحياء اكثر مضاء من سلاح العقل
فالحياء كالأيمان بينما يفكر الانسان فيه يكون قد نزل من قلبه
وخواطره منزلا كريما

على انه من اين للفتاة القليلة التجربة رشد التفكير فيعصمها عند الزلل
نعم انها تحصل على هذه النعمة فيما بعد ولكن حيث يكون قد فات الوقت
الحياء زينة ثانية للفتاة تجعلها اشهى في العيون واكرم على النفوس وما
كان احب الى النفس من الشيء الممنوع حتى ليعد اول من ابتكر الثوب
اول من ألقت عيون الناس الى محاسن الجسم البشري الذي له غير حرارته
الطبيعية حرارة من اخلاقه يقف اعتدالها عند نقطة ثابتة هي الحياء فليحذر
الفتيات والسيدات أن تترحز هذه النقطة عن مكانها فقد تنزل الى ما تحت
الصفير ... وليحرصن على نعمة الحياء فإنه كالشباب اذا ولى فبهيات ان يعود

الوردة المقطوفة

كانت وردة ملقاة على الأرض على مقربة من غصنها فأنحنى اليها

والتقطها وقد انفرط جزء من أوراقها

وعند ذلك سمع حركة خفيفة من خلفه فالتفت وكانت ابنته تهم
باجتياز باب الحديقة محاولة ان تهرب فاستوقفها

ولما سألتها عن امر تلك الوردة ولم تقطعها هزت رأسها انكارا ولكنه
اقترب منها ووضع يديه عند خديها بحيث اصبح وجهها الى وجهه ثم عاد
يسألها فعادت الى ابهامها فقال لها ان عينيك تكذبان . اريني يدك ولكنها
اسرعت فعمدتهما من خلفها وعند ذلك ضحك . اما هي فابتسمت قائلة :

— انني مافيت بكلمة حتى تأخذني بالكذب

— ويداك لم اخفيتهما ؟

وعند ذلك اخذها الى مقعد امام المربع الذي به غصن تلك الوردة
ثم تناول يديها بين كفيه وقال لها اسمعي يا فاطمة : ان هذه الوردة كالفتاة
اشواكها بمثابة الأسلحة للحياء واذن فانظري ماذا كان من امرها معك
حين حاولت اقتطافها

ابى هذا الحياء عليها الا ان تسقط في الميدان سقوط الشجاع بعد أن
تركت في يدك اثرا من جهادها فتلك الوردة هي أنت وتلك الاشواك
هي الحراس على حيائك ايتها الأ بكر .

الشرف مجرم

ذهبت مرة مع أولادي الى احدى دور السينما ولكننا خرجنا منها
مروعين على اثر القصة التي شاهدناها وتلخص في زوجين جميلين كان

موردهما من عمل ضئيل ومنزل يسكنان ناحية منه ويؤجران باقيه وكان
مرهونا عند شيخ من تجار النقود فلما وافى اجل الدفع ذهب الزوج اليه
متوسلا أن يرجئه الى أجل آخر فأبى وكان من وراء ذلك عرض هذا المنزل
للمبيع وهو كل ما تملك يداه

وعند ذلك فكرت زوجته في الأمر فرأت أن تسعى هي عند ذلك
الدائن وللسيدات كرامة واحترام يذلان كثيرا من الصعاب ولا سيما أنها
كانت رشيقة فتانة فلما ابصر بها التاجر حياها وتلطف بها وأسرف في
إكرامها حتى اذا كاشفته السبب الذي جاء بها اليه اخذ يعدها بعبارات
غامضة ثم لا يستقر على وعده حتى يعود الى القول بأن في الامكان حل هذه
العقدة مما دل على ان في نفسه أمرا يكتمه

واخيرا طلبت السيدة منه جوابا صريحا فلم ير بدا من القاء ذلك القناع

الذي حجب به عنها وجه غرضه

— كل شيء ممكن ياسيدي

— اذن تقبل ان تجدد موعد هذا الدين ؟

— ليس في وسعي ان أقول اقبل او لا اقبل لأن الدفع من أُلزم الأمور

في الوقت الحاضر ومع ذلك فالمسألة يمكن حلها من طريق آخر

— وما هو ياسيدي

— اذا كنت تكفلين زوجك فأني اضغط على مصلحتي وارضخ

— وكيف تطلب كفيلا عند من لا تملك شيئا

— لا تقولي ذلك فانت تملكين فوق ما املك أنا . أليس هذا الشباب

الفض خير كفيل ياسيدي ومع ذلك فان الناس ليعذرون اذا دفعتهم رشافتك
الى الافتتان بك

— ماذا تقصد أيها الرجل

— أنت تريدان ان اضع طلبك في احدى الكفتين فما الذي اضعه
في الكفة الأخرى

— تضع نذالتك يا لص الأعراض

وعند ذلك بصقت في وجهه واختفت

ولما عدنا الى المنزل كان أثر هذه القصة لا يزال آخذاً بخواطرننا وكل
منا يفكر في امر هذين الشقيين وما حاق بهما من الفقر والشقاء والجوع .
وعند ذلك صاح احد اولادي : من المجرم في هذه القصة يا ابي .
ليس ذلك التاجر الفظ القاسي فقلت له انه جرم لا يراه الناس وقد ستره
عن عيونهم بما له من المال والجاه . وفي الحياة كثيرون من امثال هذا الرجل
يجرجرون اذيال النعمة والرخاء وقلوبهم اسود من الليل لا تضم غير الجشع
والحقده وحب النفس

فقال اخوه انا ارى الذنب على الزوج الذي لا يحسب لحياته حساباً حتى
وقف مع زوجته مثل هذا الموقف فأفهمته ان هذا الحكم ليس دائماً بصحيح
وربما لم يكن بمقدوره ان يمنع هذا الدين

وعند ذلك صاح الثالث لم تجد زوجته سبيلاً آخر تتلافى به هذه الكارثة
فقلت له لم يكن هناك من سبيل الا ان تضع شرفها في تلك الكفة فصاح :
اذن الشرف مجرم .

اسمعوا يا اولادي :

أن هناك شرفين أحدهما شرف النفس الطاهرة النقية وهذا ان أحاطت
به الحاجة والدموع أكليلا من السماء مكانه الرأس يزينه ويبعث من حوله
النور والثاني شرف الشهوة من أي سبيل كان تحقيقها وهذا وان حاط به
الغنى والمظهر إلا أنه مرتبة لا يبلغها غير المختلين فوق جثث المظلومين من
الناس فأأي الشرفين تختارون ؟ فصاحوا صيحة واحدة
شرف النفس يا أباي !

الحب

(ما هيته . سعادة الزواج بالحب . حب النوع لا الفرد . حب
الفرد . مفسدات الحب . الهجر . الخصام . الوداع)

من العسير ان نجد للحب تعريفا شافيا نقف عنده ونستريح لديه .
وكل ما يمكن ان يقال فيه انه مرض يشتهي الناس ان لا يشفوا منه مع
انه لا يجني من ورائه العقل غير الاضطراب والنفس الا الجزع والخواطر
الا التفكك حتى انه لا فرق بين من يحب وبين من يصيبه مس
من الجنون

وربما نشأ هذا عن خيبة الرجاء عند من يبتلي به
ومن البلية ان تحب ولا يحبك من تحبه

ولكنه مع هذا يجد في ما يعاينه بسببه من الوان العذاب لذة وراحة
لأن الأمل يغشى عينيه فلا يبصر حقيقة الواقع حتى انه يعمل ويكد
ويستسهل كل صعب ليلفت نظر محبوبه اليه . ولهذا كان الحب كقطرة الندى

تسقط فوق غصن الحياة فتبتسم وتحلو ولهذا ايضاً كان ينبوع حرارة مباركة
لا ينضب. ينعش الخلائق ويصل بين نفوسها وبين كل سبب من اسباب
الهمة والفضيلة ويضع على شفاهها العطشى قبلات السعادة والسلام
واذا كان هذا حال الحب الذي كتب عليه ان لا تتغذى نفسه المعذبة الا
بحلو الاماني وشهي الامل فكم يكون نصيبه من هناء الحياة ونعيمها لو ان
الحب مشاع بين القليلين وغاية النفسين

ما أجل مثل هذه السعادة تكون صلة دائمة بين الأزواج
وربما كان الحمام من خير الامثال التي تضرب للناس على صفاء الحب
وخلة الامانة حتى أن شعراء القرون الوسطى وعلماء التاريخ الطبيعي اجمعوا
على ان ذكر الحمام لا يأتلف بغير انثى واحدة فاذا ما ارتبط بها عمياً عن كل
ما حولهما الا عن نفسيهما ناعمين سعيدين حتى اذا مات أحدهما بلغ الاسى
من قرينه أن يقضي شطر حياته الباقي صابراً وفيماً
فيا أيها الأزواج الذين ارتبطتم ارتباطاً مباركاً وأقسمتم أن تكونوا أمناً
فيما بينكم وأنتم تحشون في اقسامكم وأيمانكم كل يوم كيف يكون مثل هذا
الطير الابكم أكثر منكم شعوراً واوفر احساناً ووفاء ؟
واذا كان من حسنات هذا الحب انه يؤلف ما بين القلوب فإن
الشديد منه غير محمود عند الاقبال على الزواج فليس الحب الا كالنبذ اذا
أكثر الخاطبان منه أضاعت صوابهما النشوة فعمياً عما قد يكون عند كليهما
من المساويء

ومع ذلك ففئة الزوجة في أول عهدها بالزواج انها لا تفهم من الحب
أكثر من حب النوع لا الفرد فهي تحب خاطبها كما تحب غيره من الخاطبين

لأنها امرأة ولا نه رجل ولا أنه أول من همس في أذنها شيئاً من هذا الحب الذي تجله . تقبل عليه كما يقبل الظمان على الماء يروي به عطشه ولو كان متعكراً موحولاً . بخلاف من سبق لها الزواج فانها تتقدم الى زوجها الجديد من طريق التجربة وقد خبرت غيره من قبله كما لو آثرت نوعاً من الشراب على غيره لا لأنها عطشى ولكن لأنها في عينها أحسن من سواه

فطبيعة الفتاة التي لم يسبق لها بالزواج عهد طبيعة تساعد الزوج العاقل في الغالب على توجيه قلبها الى ناحيته فيعيش كلاهما سعيداً
نعم أن الحب يحيا ويتجدد من نفسه كلما نما وفاض الا ان هناك ما قد يعترض سبيل فيضانه فيقف أو يحف .

واكثر مفسدات الحب الهجر والانصراف . نعم قد يريد ذلك في شعلته ولكن الهجر اذا طال قتله وقضى عليه لأن الحب الذي يعث بالزمن يعث الزمن به أيضاً . وفرق بين الحب الذي ينطفيء فيمكن أن يعود الى الاشتعال والحب الذي صار رماداً فلا تنفع في احيائه حيلة

وما يقال في الهجر يقال أيضاً في الخصام فإنه اذا لم يتعد حد العتب كان كالشمس تخرج من فجوات السحب اكثر حرارة ، اما اذا تجاوزته واشتد فقد ينقلب بعضاً يقضي في كثير من الاحوال على ما بقي من أثر الحب وربما كان هذا الباب هاما لان أغلب فتيان العصر الحاضر وفتياته قام بأذهانهم أن الزواج السعيد هو الذي يقوم على الحب المتقد الثائر فهم لذلك يتراسلون ويتواعدون ويتقابلون للتزاور والنزهة في غفلة من اهلهم وذوي قرباهم وقد فاتهم ان الشباب شعلة لا تطفئها شعلة مثلها .

على ان الشرائع ومنها شريعة النبي (صلعم) اباحت للرجل أن يرى

وجه خطيبته وكفيها وقدميها ليكون كل منهما على بينة من قسيمه في الحياة.
ولو أن الشريعة رأت أن مطلق الاختلاط كاف لحكم كل منهما على اخلاق
الآخر لا باحته لأن الوقوف على تلك الاخلاق يتطلب عشرة طويلة
وطبيعية لا تأتي الا من طريق الزواج نفسه أما قبله فان كلا منهما يجتهد
أن لا تقع عين صاحبه على عيوبه فيتكاف كتمانها
ومع ذلك فإن سيال الحب كالجولان المغناطيسي يسهل ظهوره في الحديد
ولكن ما اسرع زواله كما انه يبطؤ ظهوره في الصلب وفي هذه الحال
يكون عسير الزوال

الوداع^(١)

الوداع واذا شئت أن يكون خاتمة لمطافنا فليكن الوداع الاخير .
على ان قسوتك هذه لن تثير من قلبي شهوة السخط عليك
لم لا تقرئن فيه وكثيرا ما وسدت عنده رأسك فغمر جفنيك هنيء
النوم الذي لن تذوق طعمه بعد الآن ولو انك اطلعت على ما استقر في
اعماقه من الخواطر لساءك أن يكون نصيبه من استخفافك ما يعاينه الآن
من مرير الألم

على انك لو سلمت في قسوتك معه من ملام الناس او أنهم استطابوا
ما تجرعينه كل يوم من كؤوس اللوعة فاعلمي أنه ليس هناك سبة اكبر
من ان يصاغ الثناء للقاتل على حساب القتيل

انني بشر غير معصوم فانا لا انكر عيوبي التي افسدتني في عينك
ولكن اذا كانت هذه مشيئة الاقدار فلم اختارت للبش بي ساعدك
الذي طالما طوقت به عنقي

ان الحب قد تبرد ناره ولكن شيئاً فشيئاً فعلام يحاول الناس اذن
أن يقفوا دفعة واحدة بين قلبي وقلبك بعد ان امتزجا

هنيئاً لك الحياة التي تنعش فؤادك اما فؤادي الجريح فقد قضت عليه
شقتي بان لا تقف دقائق دقاته وهكذا لن أحيا الا لا تُعذب وقد قدّر علينا
أن لا نتلاق

وربما كان في هذه الكلمات من الألم أكثر مما تذرعه المآقي من سخين
الدمع فوق قبور الموتى فهكذا يعيش كل منا ولكننا عند بزوغ كل فجر
لا يستيقظ كلانا الا عند وسادة ترملت من أحدنا !

الغيرة

(منشأ الغيرة . الغيرة مرض النفوس الحساسة . غيرة همذاني وغيرة زوجته .

خطاب)

اذا كان لكل شيء آفة فآفة الحب الغيرة

وتنشأ من تسرب الظنون الى النفوس تملك عليها كل سبيل فلا تدرك
ولا تشعر . وليس اثقل على المرء من أنه يرى سلوة نفسه تفر من بين يديه

او يعبت بها هوى غيره فيشتد غليانها ويثور بركانها وقد اصبح زمامها في
غير يده

وهكذا يكون اثر الغيرة كالهذيان الذي يصدر عن المحموم ولكنه
هذيان قد يصل الى حد الجنون فلا يترك من حوله الا خرابا وحسرات
وكثيراً ما تجر الغيرة الى هذا الاثر السيء حتى لو لم تكن المرأة
الاخيلة الرجل فما بالك وهي حليته وسبب هنائه ونعيمه

والغيرة مرض النفوس الحساسة وهي تقوم على مجرد الوهم والتشكك
حتى ان كل ما صادفها في طريقها يصلح لان يكون غذاء لها فتتمو وتشتد
كالشرارة لا تلبث ان تصير ناراً او كالدخان القليل اذا تمدد ملاً فراغاً
فسيحاً من الفضاء يحجب عن الانسان حقيقة الواقع فيضل ويثور

ويزيد هذه النار اشتعالاً شعور النفس بكرامتها وقد جرحها سوء الظن
حتى عد الا فرنج غيرة الخاطب احتراماً وغيرة الزوج سبة وان كنت لا
أرى ذلك لان الغيرة واحدة على كل حال فكيف لا يؤاخذ من لا يملك
سببها ويلام من امتلأت يده من هذا السبب ومع ذلك فلا سبة في جميع
الاحوال وما كان الغرض الاحماية المرأة ودفع اليد العادية على الحق

ولقد ورد في الخبر ان رجلاً من همدان تزوج بابنة عمه وكان يحبها ثم
ضرب عليه السفر الى أذربيجان فرحل عنها حيث اصاب خيراً كثيراً
واستفاد جارية اسمها حبابة وفرساً اسمها ورد فلما قفل القوم احجم عن
مصاحبته خشية ان امرأته تمنع الجارية عليه مع شغفه بها وهو يقول
الا لا أبالي اليوم ما فعلت هند اذا بقيت عندي حبابة والورد

فلما سمعت ذلك امرأته ارسلت اليه :

الا أقره مني السلام وقل له غنينا بفتيان غطارفة مرد
اذا شاء منهم ناشيء مدكفه الى كفل ريان او كشب نهدي
فارسل لنا منك السراح فإنه منانا ولا ندعو لك الله بالرد
اذا رجع الجند الذي انت منهم فزادك رب الناس بعدا على بعد
فلما وقع كتابها في يده باع الجارية وبادر اليها فاذا بها في مصلاها فساها
ماذا فعلت قالت معاذ الله ان اركب محرماً وانما اردت ان تذوق ما أذقتني
من طعم الغيرة .

اغار عليك من الناظرين فلو استطيع طمست العيوننا
ومن هذا نرى ان الغيرة وان كانت واجبة لانه (لا خير فيمن لا يغار) الا
ان التقالي فيها مجلبة للضرر والخطر فقد يكون من وراء اتهام الرجل المرأة
في غير تهمة دفع لها الى ارتكابها فيكون كمن جدع انفه بيده

خطاب (١)

صديقي !

قضي الأمر واتعجر ذلك البركان الذي ظل زمناً يغلي في الخفاء وهي
لا تفتأ كل يوم تلقي فيه من وقود خفتها واستخفافها ما وسعها حتى بلغت
الشدة غايتها وكان ما كان

ولقد كنت لا أرى فيك وفيها غير عدوين مما كان من حركاها وحديثها

حادثة وقعت لصديق وقد سمح لي بنشر خطابه مغفلاً منه اسما الشخص

يثير ريبي ويترك باب الظنون مفتوحاً على مصراعيه لخواطري

وكم كانت تلك الخواطر تأكل جسمي وتحرق دمي حتى ما كنت
لا أذوق طعم النوم عند الساعة التي يستيقظ فيها الناس كأنني خفير داخل
يأتي كتب عليه أن لا يغمض له جفن إلى تلك الساعة . ثم اذا نمت بعدها
كان نومي شراً علي وهو مضطرب مزعج لا نني وانا نائم ايضاً ما كنت أرى
في حلمي الا صدى ما أرى في يقظتي حتى اذا استيقظت لا اشعر بأني كنت
نائماً والخواطر من نوع بعضها وعلى اتصال واستمرار في اليقظة وغير اليقظة
الا تراني مسكيناً معذباً حائراً لا تهدأ لي نفس ولا استقر عند خاطر
يخفف عني شيئاً من ذلك الهم الاليم الطويل . ولكن الغيرة شر ما يقتل
النفوس التي تنبهر مشاعرها ورقت حواسها . ان المدى والسموم والنار
تقتل ايضاً ولكنها رحيمة لا تدع النفوس تتمتع بكثر من بضع ثوان .
اما الغيرة فعذابها الليل والنهار والايام والشهور والسنين وتنتهي اخيراً بالجنون
او الانتحار او التفجار على تلك الصورة التي رأيتها .

ولقد فرت من وجهي بعد ان كادت تريحني من عذاب العيش فلم
تقف لحظة امام دمي ولعلها تكره مرأى الدم ولكنها تستمرىء طعم سفكه

على اني رأيتك في تلك اللحظة الى جانبي مكباً على رأسي تحبس دمي
وتواسيني في جزعي وتلطف بي وتتوجع معي حتى لا أذكر اني رأيت
دموعك من خلال دمعي فهل كانت صداقات ام كانت تكذب علي من
خلل المآقي وتهكم بي وأنا في ضعفي وهل اتهمك بالرياء والكذب أم اتبع
حكم وجداني الذي لوّح لي باخلاصك في تلك اللحظة المريرة

انني الآن ياسيدي بعد ما فرط في حلّ من كل ظن وجهته اليك
وما زلت مسوقا الى الحكم بما أنا متأثر به فاذا قدر الله وخاني صديقي فأني
اترك أمر محاسبته له . واذا كان قد كتب له (كما قدرته) أن تضعه تلك
الظروف الطائشة موضع الريّة مني وأنه كان باقياً على حبي وافيّاً في صداقتي
فأني أمد اليه يدي بالاعتذار

نعم يا صديقي انني تعذبت كثيراً عذاباً لو علم به انسان لبكاني وشاركني
همي . اولا تذكر ما سمعته في صباح هذا اليوم من أمر ذلك الرجل ^(١)
الذي إئتمن على زوجة صديقه في غيبته فلما وسوس اليه الشيطان وزين له
الضلال همّ الى جسمه فبتر منه ما كاد يوقعه في الاثم . وما كنت والله متعمداً
ان اذكر لك هذا الحديث ولكنني حين ذكرته تنبهت نفسي فاذا بي اسوقه
اليك وانا اخاطبك من اعماقها : ماذا فعلت معك ايها الرجل حتى تقف بيني
وبين سعادتي وكيف تستسيغ ان تكون في الظاهر صديقي وفي الباطن قاتلي
واخيراً اتوسل اليك في خاطري ان لا يطوح بك سكر الشباب فتصل
بينني وبين همي وتضغط على محجري لتجري منها سيول دمعي وكأني
استجديك الوقوف عند حد هذه الامانة

اما تلك السيدة التي كانت سبب كل هذا فالله يعلم اني ما ظلمتها يوماً
وانني كنت أتعهدا بالخدمة والرضى والحب كما يتعهد البستاني احب الزهور
اليه فماذا فعلت معها غير ذلك حتى يكون هذا نصيبني منها في آخر ايامي .
واذا كان ذنبي كله غير تي عليها فهل كان في ذلك الا شرفها وشرفي
وسعادتها وسعادتي .

على انني تحملتها وانا صابر صبر الكرام، حلیم حلم الانبياء فما عرفت
لي هذا الفضل فهل اقدر بعد هذا ان اشهد الله على ان كل ما كان في نفسي
خرج مع ذلك الدم الذي نثرته مني يدها الطائشة . لا أدري وبينها وبينها
ولد حتى انني كلما وقف شبح العزم امامي وقفت صورته بينها وبينني فما اشد
ما اقلبي وما اشقاني

سباسة الزوج

تتكون عائلة روير فرجان منه ومن زوجته أيرين وتشارك معهما في
هذه القصة اختها بولين وصديقها ميشيل دافرنيه

وكان هذا الفتى قد اختفى يوم زواجها لانه كان يطمع ان تكون له
ولكنه عاد اخيراً مشبعاً باراء غريبة اذ يرى في الميلاد والموت والزواج
ثلاث مراحل كبرى للحياة وهو يسوي بينها وبين بعضها قائلاً ان المرء لا
يفكر في أمر نشأته لانه يولد رغامنه كما يموت رغامنه وأن الزواج أيضاً يتم
بغير أن يفكر فيه الا بقدر ما فكر فيهما فقد يعرض له على حين فجأة بحيث
لا يكون له سلطان على عمل الطبيعة التي هيأته . وهكذا يرى هذا الفتى ان

ومن قبيل الحرص على الأمانة قول ابي عبيدة: لم تف امرأة زوجها الا قضاعتان
ناثلة ابنة الفرافصة امرأة عثمان رضي الله عنه وذلك أنه خطبها معاوية لما قتل عثمان
فقال اني رأيت الحزن يبلى فلم آمن ان يبلى حزني فتدعوني نفسي الى الزوج —
وامرأة هدية فلها حين قتل زوجها قطعت انفها وكان جميلاً لئلا يرغب فيها

كلمة (قبلت) التي تخرج من فم الزوجين إنما هي صوت الطبيعة المختفية
فيهما كما ان اول صرخة في ساعة الميلاد هي صرختها وان آخر زفرة ساعة
الموت هي زفرتها

اما العلاقة بين فورجان وزوجته أيرين فما كانت مرضية لأنها عصبية
المزاج وهو مع انصرافه عنها كثير الجفوة شديد التغالي حتى بلغ من
أمرهما أن طلبت منه طلاقها فرفض مستمسكا بعقد زواجه بها وقد جعل له
في عينه شبه سلطان عليها

ثم يعود ميشيل دافرنبيه بعد غيبته كما قدمنا فيسممها بأفكاره الحديثة
ويهز سكونها حتى أن توسلات اختها لديها لم تجد نفعا مما يرى أثره في
المناقشات التي سنذكرها

(بين يولين وفرجان)

تلومه يولين على أنه لا يسعى لينشر السكون والسلام على بيته غير
مفكر فيما تشعر زوجته به من ألم الوحشة اثناء غيبته أما هو فيعتقد أنها
تخدعه حتى أنها تظهر دائما عبوسة ساعة تناول الطعام فإذا انصرف عادت
بشاشتها اليها

(بين فرجان وايرين)

يقول لها مهما حاولت أن تمنعيني من محادثتك في شؤوننا فلن يسعني
الا ان أوقفك على الخطة التي عولت على اتباعها أخيراً
انك من اشهر طويلة تضعين بينك وبينني حائلا من سوء الصحة
واضطراب الأعصاب وما كنت لتخدعني هذه الا أمراض الوهمية فعمدت

الى الوسائل الكبرى لا شفيك منها . واذا كانت حياة باريس عاجزة عن
الوقوف بين تلك الأمراض وبينك فقد تركت لك الخيار بين موطنين كلاهما
صحي لا نهما في وسط الفلوات بعيدان عن هذه المدينة التي افسدتك .
وعند ذلك تجيبه ايرين بأنها ما اعترضت عليه في تسوية امور املاكها
واسكنها ترفض الاشتراك معه فيما يتعلق بالمستقبل لانها سئمت العيشة معه
على كل حال .

ولكنه يرجع السبب اليها وانها اذا غيرت من طبعها يغير من طبعه
فتصبح أن هذا فوق يدي لاني حين تزوجت بك ما طلبت اليك الا ما
تطلبه كل فتاة مثلي وهو أن اوفق الى حب اسعد به واسكنني لم افلح ولم اجز
غير الألم والعذاب

وعند ذلك قال لها فرجان ان فيما تذكرين امتهاناً للواجب وانكاراً
لحقي عليك فقالت لم يكن فيما ذكرت غير صوت وجداني يصرخ ويشكو
وهكذا يرميها بالجنون وهكذا ترميه بقلة العقل

وعلى أثر هذه المناقشة تجتمع ايرين بأختها وتسري اليها اصرارها على
طلاقها ثم يزورها بعد ذلك ميشيل ليحدثها حديثاً طويلاً لا يدور على غير
الحب ونعيمه حتى اذا شعرت بزوجها مقبلاً دفعته الى الحديقة من باب خاص .
أما زوجها فيعود الى القول بأنها انما تسوقه الى الشطط فتسأله عن سبب
استبقائه اياها وهي تظنه لا يزال يحبها فيصيح كلا كلا . لم يعد لك نصيب من
حيي بعد ما افسدت علي حياتي (١) فانا انتقم لنفسي منك وقد اخذت

(١) ربما كان هذا التصريح اكبر خطأ وقع فرجان فيه نحو امراته وسري ما
يكون من وقعه في خلال هذه القصة

عليك يوم زواجنا صكا يجعلك لي الى ماشاء الله وحينما تقول له أنها تنكر كل شريعة تجعل من الانسان ملكا ابديا لسواه يغرق في الضحك لأن الاتصال عنه لا يمكن الا برضاه ثم يشتد معها فتلوّح له بأنها تخلق الفرصة التي تدنيها من غرضها حتى هددها هو أيضا بتضييق الخناق عليها واعادتها اليه بقوة الاحكام فيما لو حاولت أن تفرّ فقد طابت نفسه الى ذلك ثم يتركها وينصرف وقد فاض اناء صبرها وطفح فتفتح باب الحديقة وتنادي : ميشيل . حتى اذا اقترب منها اندفعت الى صدره وألقت بنفسها بين ذراعيه

(بعد عشر سنوات في القرية)

بعد عشر سنوات وهما بالقرية يعود فرجان الى نغمته السائلة بشأن رينيه ولدهما وتربيته لأنه يرى ارساله الى مدرسة بعيدة يعتاد فيها النظام والمسؤولية أما هي فتقف دون هذه الارادة لضعفه ولأنها أدري منه بدائه وهي في كل ليلة تقوم اليه اكثر من مرتين كلما أخذه السعال

أن قلب المرأة يجب أن يملأ فراغه حب الزوج واحترامه والانهيا لحب آخر اقوى لان الطبيعة تنفر من كل فراغ ولقد سمعت من سيدة متزوجة تقول لزوجها وقد أساء اليها احذر عاقبة مثل هذا فان التي لا تجد عند زوجها كفاً تداعب خدّها لا تعدم كفاً اخرى غيرها ومما يذكر في هذا الصدد أن القائد الاغريقي ايفيكرات بعد أن هزم المصريين الثائرين على الفرس والجأهم الى مضيق لا يخرجون منه الا اذا فتحوا لهم في صفوفه ثغرة وقف عند هذا الحد قائلاً : « لن اترك لاعدائي فرصة يستبسلون فيها » وقد اصاب لان الضغط الشديد لا يعقبه غير الانفجار

ولكنه يصرّ على رأيه فتصرّ هي أيضا على رفضها وعندئذ تجري
بينهما المناقشة الحادة الآتية :

فرجان — قلت لك يجب

ايرين — مطلقا فانا اتولى الدفاع عن حياته مهما كان من الامر
فرجان — يلوح لي انك عدت الى ما ظننتك شفيت منه ومع ذلك فقد
رأيت كيف امكنتي ان اكون معك زوجا وسترين اليوم
كيف سأكون أبا .

ايرين — لقد مضى ذلك الزمن الذي تزعم انك هزمتني فيه اما الآن
فليست زوجتك التي تخاطبك في شأن رينيه وانما هي أمه
فرجان — اذن فأنت تجهلين حقوق الامهات ومع ذلك فلا محيص من
ارساله ما دمت اريد ذلك

ايرين — ولكنك تدفعني الى الالتجاء لآخر سلاح يحول بينك
وبين هذه الارادة

فرجان — انه ولدي

ايرين — انت تظن ذلك

فرجان — اولست بأبيه؟

ايرين — لا

فرجان — (مضطربا ذاهلا) ماذا اسمع . انك تكذبينني

ايرين — لم تعد لي حاجة الى الكذب

فرجان — (مغضبا) آه يارب . اذن اخرجني به من هنا

ايرين — ولن نخرج ايضا

فرجان — انا أضطركما (يجلس على مكتبه ويكتب) هذا هو الطلاق
الذي كان من أكبر أمنياتك

ايرين — ولكنني لا أقبله بعد ان ولى شبابي وخاب رجائي وضاع
معك مستقبلي

فرجان — اذن بالرغم مني اتحملك

ايرين — كما تحملتك من قبل وما سقيتني غير كؤوس الأسى والدموع

فرجان — لا عدل اذن فوق هذه الارض

ايرين — عدل الألم المشترك

فرجان — ولكنك مجرمة وأنا بريء

ايرين — كلا وانما كلانا شقي وعند الشقاء يتساوى البؤساء !

الاعشى

في احدى قرى فرنسا الكثيرة الأمطار شارع ينزلق عليه المارة
يسكن في جهة منه الاستاذ لويريه وجرمين زوجته وهي لا تزال في شبابه
وأن كانت حزينه مكتئبة . اما زوجها فايض الشعروان لم يتجاوز الأربعين
من عمره وهو اعمى ومع ذلك يعطي دروساً بمدرسة في تلك القرية . وكانت
معطلة في ذلك اليوم فدعاها الى الخروج للنزهة ولكنها قالت أن السماء
تهطل كما هطلت بالأمس وكما ستهطل في الغد

وعند ذلك شعر بحزنها للحياة الشقية التي تقضيها معه وهي تنكر عليه
ذلك حتى قال انني ارى أثر الحزن على وجهك . نعم أني اعمى ولكن

النور اذا كان لا يصل الى عيون العميان فان مشاعرهم الباقية تصل الى نفوسهم مضاعفة فتظل يقظة في الظلام لا يشغلها شاغل عن التحليل والا دراك فنحن انما نرى بالحواس والاهتزازات وبتلك القوة المغناطيسية التي تتشعع عن اجسامنا واجسام من نحب فيتاح لنا أن نقرأ في وجوههم بغير أن نراهم .

ومع ذلك لم تحاولين اخفاء هذا الحزن وهو ظاهر . العلك تحاولين ان لا أشعر به تخفيفاً لألمي . نعم يكون ذلك ولكن أأست في عذاب على كل حال وانت تذوقين مرارة هذه الحياة بهذه البلدة السيئة في هذه الدار الحقيرة والى جانبك أيضاً اعمى . نعم لقد حرمت افراح الحياة ووسائل الزينة التي كان يجب أن اطرحهما عند قدميك

اما هي فقالت بلطف انك اذقتي طعمهما من قبل ثم ما ذنبك انت الآن وما اصابك في عينك وفي مصنعك العامر انما كان من قضاء الله فقال صدقت الا ان الرجل في عين زوجته مخطيء دائماً ما دام انه لا يقدم لها كل ما تطالب .

واني اقول لك هذا بالرغم مني لأنني كرهت نفسي ولا نك في كل ظرف جديد تقدمين لي تضحية جديدة على حساب سعادتك وهنائك حتى انك تقاسميني عملي فأنا دائماً متهم بعدد هذه التضحيات

انك تحاولين باخلاصك لي كل يوم ان تجعل لي لشبح السعادة وجوداً حقيقياً وانا مضطر الى القبول مادمت اشعر بما في ذلك من الحلاوة . وربما كانت تلك المحاولة منك ترياقاً يشجعك على اكرامي ولكن بالرغم منك لا يزال الحزن شاغلاً فراغ قلبك على تلك الحياة الضائعة والسعادة المستحيلة نعم يجب أن ادرك ذلك من لفظ واحد تنطقين به وحركة واحدة

تصدر عنك فانا الذي يجب ان اختفي لولا اني لا يزال في نفسي شيء من حب النفس

وعندئذ تهمل وجهها واقبلت عليه تسأله فقال :

اني متى غبت عنك تستطيعين ان تنشئي لك من جديد مستقبلا ثانيا و انت لازلت جميلة محبوبة ولكن اين لي هذه الشجاعة يا جرمين وأنا احبك ايضا وان كنت اعمى حتى لقد بلغ من أمر حبي لذاتي اني اشعر دائما بالعبادة الى جانبك وهذا اقصى ما تصل اليه الانانية . اشعر بأن تكوني بالرغم منك لي وحدي يحيط بي من بقائك الى جانبي غلاف من العناية وجو من الخنو في فراغ عزلتنا هذه القاسية ولذلك فاني احمد الله على هذا الحادث الذي اغلق نافذة الحياة من دوني لأني لا أدري ماذا كانت الاقدار تخبئه لي لو انها ظلت مفتوحة كما كانت من قبل . نعم ليس من المروءة أن اصرح لك بهذه الخواطر ولكن مادمت قد اعترفت فاصفحي عني

اما هي فقالت له كيف تطالب صفحي وأنت تكاشفني الحب ولكن ماهذا الذي يترقرق في اجفانك فصاح دموعي اظننت ان الموت انساها البكاء يا جرمين !

وعند ذلك اتجهت نحو المكتب الذي فوقه اوراق التلاميذ وهي تقول مادمننا لا نخرج فلم لا نخفف عنا حمل الغد . لعلك تذكر موضوع الامس بالويريه . على اني سأتلو عليك اوراقه كما عودتني وانت تملي ما تراه فيها (يجلسان فتقرأ عليه وهو يدلها على مواضع الخطأ والصواب وبينما هما كذلك تنبههما الخادمة الى مجيء زائر اسمه دارفول لا يعرفانه يطلب مقابلة

جرمين . وعند ذلك يدعها زوجها ويخرج الى الغرفة المجاورة متمسكاً الباب
وهو يمر بيديه على اثاث الغرفة)

ولكن كم كانت دهشة جرمين حين وجدت في ذلك الزائر سافيل
الذي تعرفه من قبل وهو يقول لقد كذبت وغيرت اسمي لسكي اصل اليك
وعند ذلك شعر بنضبها ومحاولتها القيام فاستحلفها ان تبقى قائلاً انك تعلمين
مبلغ احترامي لك . على ان صدفة غريبة هي التي دفعت بي اليك فلقد لمحتك
بالامس فتنسمت اخبارك وأنا لا أقوى على الصبر عنك .

ولقد مضى علي اثنا عشر عاماً لم ارك فيها ولكنني وأنا الآن الى
جانبك فكأنني لم يمض علي شهر واحد . وماذا يخيفك مني . ان ذكرى
الايام الماضية لا تعد خطيئة

ولقد سمعت عنك امورا غريبة يا جرمين وان زوجك اصاب بالعمى
وان معاملته الزاهرة لم يعد لها اثر حتى اضطر وهو على هذه الحال الى مهنة
التعليم وانت الى جانبه تساعدينه . أعل ذلك من بعض مظاهر التضامن
بين الزوجين ولكن الا ترين ان الحظوظ كأوراق البخت لا تأتي كلما
فكرت في آخر اجتماع لنا من اثني عشر عاماً لا أنسى ان اهلك في ذلك اليوم
ارادوا لك النمرة الراجعة فأثروا ذلك المهندس ملك الاحلام المالية على ذلك
المصور الذي كان موضع احتقارهم . ولكن المهندس فقد جناحيه وأما
المصور . . . فقطاعته انني لن ألومهم على ذلك وما ارادوا غير خيري .
فقال ليس من ارادة الخير ان يدفع الناس بأولادهم الى زواج لا يشترك
شعورهم فيه لانك انما تزوجت به بالرغم منك او او انك ما كنت تحبين
الاثنين معاً

وعند ذلك قالت له وهل ذكرت لك يوماً أيهما كنت أحب . تأكد
انني راضية بنصيبى سعيدة بالحياة معه فقال نعم سعادة من يلتذ بالتضحية
على انك لا تجرئين على القول بأنك كنت تحببته حين تزوجت به . واذا
كان قلبك لم يمل اليه في تلك الساعة التي كان فيها يطرح عند قدميك كل
اسباب الزهو والزينة والغنى فكيف بك الآن وقد أصبحت لا ترين معه
كل يوم الا حزناً وبؤساً

اما هي فصاحت به لقد وهمت فان حبيبي له الآن يتجاوز كل حب
فقال لعله من قبيل حب الراهبات للمرضى المفجوعين لأن قلب المرأة عضو
له عيون كثيرة منها ما هو للشعور والعواطف وما هو للرحمة والشفقة ومنها
ما هو لثورة الحب الحقيقية فالقلب اذا هاج وثار لا يدرك مصدر هياجه
من أي عين من تلك العيون . على انني من اثني عشر عاماً وأنا جريح فلم
تحولين بيني وبين الأعتراض على هذه التضحية العقيمة . ثم أني اقسم مائة
مرة انك لا تحبين هذا الرجل ذلك الحب القوي الذي يمتزج بالاجسام
والأرواح فيزها ويرجها

وعند ذلك تضطرب وتطلب اليه أن يكف ، فيقول من جديد انني
اقراً هذا في عينيك فلم تعمضينهما . نعم لقد اعادت اليك الحياة تلك الشعلة
التي كادت تنطفئ جذوتها وعاد قلبك يشعر بتلك النشوة التي حيل بينه وبينها
انني لأحسهما فيك فانكري ما استطعت وقولي انك سعيدة ما دامت طبيعتك
تفسها تخونك .

وكان سافيل قد وصل معها في حديثه الى حد خطير فقالت له ليكن
ما تقول فماذا يكون بعد ؟

قال يكون انك لن تعصي مشاعرك فصاحت سائلة أتريد ان اتخلي
عن زوجي فقال وما يربطك الآن به ؟ أحب الأمومة وليس له منك ولد
ام واجب الزوجة وقد كان يعلم انك لا تحبينه . الا ترين أن لك من كل
هذا سبباً تكونين به في حل من تلك القيود البالية ثم أنسيت انك مخلوقة
لك حتى أيضاً في السعادة . الا ترين كيف أن الصدف ارادت ان تجتمعني
بك ثانياً فدفعني الى هذه القرية التي لم اكن اعرفها حتى رأيتك وسألت
عنك . انني انا نصيبك في الحياة وما كان هو الا الحائل دون هذا النصيب
المكتوب لك ولي . فانا انما استردحتي لأعبده ولا أخرجته الى نور السعادة
الحقيقية (يضغط على كفها) لا تردي هذا المستقبل الذي يمد كفه اليك
والذي لا يأتي الا مرة واحدة ساعتها الآن فربما اوصل بابك من دونك
ودوني الى الأبد

وهنا يخور عزمها ولكنها تصرخ فيه : صه ايها الرجل . فيقول كلا
كلا . لا أني احبك ولا أني أريد أن تكوني لي . انك زوجتي انا . قولي
نعم . قولي

ولكنها تعود فتصرخ فيه بأشد من المرة الأولى لا . لا . ابداً .
اخرج من هنا ايها الرجل فيضطر الى الخروج رويداً رويداً بينما زوجها
داخل يتلمس مكانها

لو يريه — هل انصرف الزائر يا جرمين

جرمين — نعم يا صديقي

لو يريه — من هذا الرجل (وهو يقترب منها)

جرمين — (بعد لحظة) سافيل

وهنا يضطرب ويهتز وهو يبحث عن يدها فيضع عليها قبلة خالصة حارة

جرمين — ماذا جرى لك يا عزيزي

لو يريه — لو انك كذبتني يا جرمين لكنت قتلت نفسي

جرمين — أعرفته أذن؟

لو يريه — نعم عرفته من صوته

جرمين — ولكنك سألتني عنه

لو يريه — نعم . غير أنني سمعت حركة طردك له (يجذبها اليه)

أرايت كما قلت لك كيف أن عمالي كان من أكبر اسباب

حسن حظي

جرمين — (بعد فترة سكوت تقابل حنانه بمثله تتجه الى الكراسيات)

لقد وقفنا عند تمرين پوستار

لو يريه — (وهو يحدق فيها عينيه القارعتين) نعم لنعد الى الواجب

يا جرمين !

العزوبة

(ايهما اصل العزوبة ام الزواج . اعتراض على العقد . المرأة مصنع للنسل .

احد ملوك العجم وشيخ . العزوبة مقياس اخلاق الامة - قبر من البللور - الراهب)

الفعل عزب على وزان فقد عزبة وعزوبة بضم العين فيهما ويقال فيمن

لا أهل له واسم الفاعل منه عزب بفتحيتين وليس فيه أعزب اما المرأة فعزباء

والظاهر في العزوبة أنها أصل طراً الزواج عليه فقيده ولكنني أرى

الزواج اصلاً سنته الطبيعة وفقط لا يلزم وجوبه الا حين يبلغ الطفل سن الحلم او سنًا قريبة منه .

فالعزوبة من هذه الناحية خروج عن الاصل الذي ترجع الحكمة البشرية فيه الى استمرار التناسل .

وكثيراً ما عارض بعض الناس على هذه الحكمة ذاهبين الى أن العقد قيد لا محل له اذا كان الغرض من الزواج النسل لأن اختلاط الذكر بالأنثى في ذاته يؤدي الى هذه الغاية وهو اعتراض لا غبار عليه في الظاهر ولكنه ضعيف واهٍ لأنه اذا أبيض هذا الاختلاط فلن يكون الدافع اليه الا أحد أمرين : اما شهوة الكسب او اشباع الشهوة

واذا فهمنا ذلك فهمنا أيضاً أن المرأة متى حملت اضطرت الى البقاء تسعة اشهر حتى تضع حملها . وهي في هذه الفترة الطويلة تتعرض للاسقام والالوجاع وتقلب المزاج والدوار والقيء مما يكون صارفاً اياها عن كل شيء آخر فضلاً عن تكور بطنها وانتفاخها فلا يقربها الرجل ولا يقبل عليها وما دام أن الحمل على هذه الصورة يقوم عقبة في سبيل تحقيق الطرفين السائقين فأنها تسعى الى التخلص منه على أية صورة . هذا الاثم الذي نلمس اثره في كثير من الاحيان بل ان من النساء من يلجأن الى عمليات جراحية تشل بها وظيفة العضو الخاص بالحمل .

على ان في تلك الأباحة خطراً يجب ان يحسب له حساب فقد تؤدي الى نزاحم الناس على امرأة واحدة او أكثر فيتحاربون ويتقاتلون حيث تسود الفوضى لأن طبيعة البشر الجامعة الماثرة واحدة في كل الاحوال وانما لئلا

كثيراً من الفاجرين يمدون عيونهم الى من هي محصنة من النساء فما بالك
والأمر مباح؟

بل ماذا يكون من امر اللواتي تقدمن في السن؟

ثم ان الطبيعة التي جعلت من المرأة مصنعاً للنسل غرست في نفسها
الحب والحنو ليكونا رباطاً وثيقاً يربطها بأولادها فتتصرف الى العناية بهم
والدفاع عنهم حتى ينموا ويشبوا^(١)

ولذلك لم يكن الغرض من الزواج ان تصبح الفتاة زوجة فحسب ولكن
أما لان هناك خلافاً بين علماء الاجتماع يدور حول ذلك لم يرق في عين
المفكر الفرنسي العصري أيمل فاجيه فقال « أن ألد عدو للزواج عندنا هو
نفس مدنيتنا » لانها تقضي بأن لا يتزوج الرجل الا في السن التي تضعف
عندها قوة الاخصاب وهو على كل حال انما يقصد معالجة الحالة الاجتماعية
التي هبطت بالنسل في فرنسا الى نسبة مزعجة . ولم يكن غرض الطبيعة من

(١) مر احد ملوك المعجم بشيخ يعمل في ارض فقال له هلا ادلجت فيكون من
ذلك ما يكفيك قال ادلجت ولكن القضاء لم يدلج فطلب اليه أن يكتب امره معه
حتى يراه ثم انصرف وسأل وزيره عن معنى ما اجابه به الشيخ فلم يدر وأخذ هو
ايضاً يسأل الناس حتى بلغ به المطاف الى ذلك الشيخ ولكنه امسك عن الجواب محافظة
على وعده للملك الا انه أعطاه عشرة آلاف درهم فقال له اراد لم لم تتزوج في
شبابك فقلت فعلت ولكن الزمان لم يسعدني بولد يكفيني مؤونة عملي الشاق في
شيخوختي . ولما ابلغ الوزير الامر للملك استدعى اليه الشيخ وعاتبه على اخلاف
وعده فاجابه انني ما اخلفته يا مولاي وقد رأيتك عشرة آلاف مرة . وكان على كل
درهم صورة الملك واسمه فاعجب بحوابه وضاعفها له

تركيز شهوة الميل في الرجل والمرأة ان يكون هذا مبرراً مجرد الاختلاط بل لتكون بين النوعين حلقة اتصال دائمة

وربما كان البحث في العزوبة وأسبابها خير مقياس لتقدير اخلاق كل أمة فاذا انصرف شبابها عن الزواج دل هذا على مبلغ انحطاط تلك الاخلاق .
نعم ان الفتى العزب لا يعدم مكانا يسكنه او مطعما يغذوه غير شاعر بالتبعة التي تنشأ عن تكاليف البيت ولا نادم على لذة الاولاد وهو لم يذقها ولكن الزواج كما قلنا اصل مسنون وهو غاية كل شخص يوجه اليها تكوينه وطبيعته ولا سيما ان لقب « رب البيت » من انبل الالقاب فمن ذا الذي يتقدم للحصول عليه

ولكن الواقع أن علة البعد عن الزواج عندنا هي الاضطراب الذي طرأ على أحوالنا الاجتماعية فاخذ سوسه ينخر في كيان الحياء والاخلاق وانك اينما التفت لا تجد الأسر في الوقت الحاضر جارية خلف الحكمة التي شرع الزواج من أجلها وهي تخير النطفة بتخير الزوج سليما عفا الثوب كامل الصفات ولو كان فقيراً لان الاخلاق الفاضلة في ذاتها من اكبر رؤوس الاموال ولكنها جعلت قاعدة اختيارها غير ذلك من اعراض الحياة الزائلة ومظاهرها الكاذبة فسامن رجل اراد ان ينخرط في سلك احدى الاسر الا تساءلت عن مركزه وثروته فان كان ذا جاه وكان غنياً اقبلت عليه واذا كان فقيراً نبذته وان كان ملكاً من السماء .

وقد توجد اسباب كثيرة غير هذه تبعد بالزواج عن الغاية التي سن لها ولكن ارتباطاً كهذا لا يقوم الا على المصلحة والجشع وحب المظهر بغير بحث عن مكان الفضيلة لا دوام له ولا يتحقق معه دوام العمران حتى

اننا لنرى الطلاق تجري به الالسنه في كل وقت بغير حد .

اما السبب الأقوى على ما يذهب اليه ظني في تفور الفتیان من الزواج وبعدهم عنه فيرجع الى تسرب الشك الى اذهانهم لما يسمعون من تفشي الفساد بين بعض الطبقات على ان العزب مهما كان من أمره فإنه يشعر دائماً في حياته بشيء ينقصها هو الزوجة فهما كشقي المقص لا يرجي من ايهما وحده تقع . ولكنه مع ذلك يخشاها لما مر بك من الأسباب .

ولقد اجتاز نساء فرنسا نفس الدور الذي نجتازه الآن حتى ان اسكندر دوماس الصغير في سنة ١٨٩٧ اي من نحو اكثر من نصف قرن افاض في ذلك في مقدمة طويلة لبعض اسفاره نوجز هنا منها ما يختص بالسبب الذي كان يحمل الشبان وقتئذ على القرار من وجه الزواج :

لنفرض انني تزوجت فما دمت لا اكسب من امرأتي غير جسمها الذي لا اعرفه الا نصف معرفة بسبب اشتغالها بزيئها اليومية والذي بالعكس يعرفه كل الناس اكثر مني فأني اجد ثمنها غالياً علي .

اننا نسعى الى الزواج في الحقيقة لكي نجد عنده الراحة والاولاد والكرامة والحب

اما الراحة فأبعد من ان تلمسها ايدينا ونحن مكلفون أن نرافق زوجاتنا دائماً الى كل مكان من اماكن الرياضة واللهو

وأما الاولاد فأين هو الوقت الذي نجد عنده الفرصة للحصول عليهم والسعادة بهم

واما الكرامة فأين هي من امرأة تتعري الى خصرها ولا ترتدي ثوبها الا على يد رجل .

واما الحب فلا تسلمي عنه ما دام ان أساسه تلك الفضائل التي لا وجود لها

وما دام ان امرأتي تصبح لكل الناس الا لي نخير لي انا ايضاً أن آخذ نساء كل الناس خصوصاً وأنهن لا تكافيني عشر معشار ما اضطر الى صرفه وانا متزوج ..»

نعم اننا لم يصل بنا الفساد الى ذلك الحد الذي وصلت اليه فرنسا من ثمان وخمسين سنة ولكن ألا يجب ان نأخذ عدتنا من الآن حتى لا نقع في مثله ؟

قبر من البللور

اخذت انا وصديق لي نبحث له عن دار يسكنها حتى اذا جن الليل ارجأنا البحث الى الغد لولا أن افهمنا المرشد بأن على مقربة منا داراً أخرى وانه اذا كان قد اقبل الظلام فلا بأس من الاستضاءة بشموع ولقد صعدنا فاذا حجراتها مزينة السقوف والجدران اما أرضها فمن الخشب الا ان التراب كان فوقها كثيفاً تغوص اقدامنا فيه مما دل على انها ظلت خالية زمناً غير قليل

وكنت انا وصديقي نمر في تلك الحجرات منفردين فسمعت وقع اقدام مسرعة الى جهتي وكان صديقي مضطرباً ترتجف يده ولسان الشمعة يهتز يمينا وشمالا ودخانها يرسم عموداً حلزونياً صاعداً الى السقف وعندئذ صاح : أن عفريتاً يسكن هذه الدار فغلب عليّ الضحك

لولا أنه جذبني الى غرفة قريبة قائلاً انظر بنفسك
وكان في احدى زوايا المكان رف مثلث الشكل القتي اليه وهو يقول:
الا ترى عينه تحرق فينا من فوقه

اما الغرفة فكانت مستطيلة منظمة عند هذا الرف ثم يلي ذلك ظلام
خفيف الى ان ينتهي للهاتين المحيطتين بنا من ضوء الشمعتين وهما متزان
كلما تحرك الهواء ونحن في وسطهما نحكي راقصتين يتحرك طرف رداءهما
كلما رقصتا ولكننا كنا نرقص من الخوف

نعم انني جمد دمي ووقف شعر رأسي وكأنت طربوشي قد ارتفع
قليلاً في الهواء فتراجعت اذ رأيت شعاعاً قوياً يخرج من فوق ذلك
الرف الى جهتي

ولقد كان اضطرابي أنا أيضاً مشجعاً صديقي فيما اعتقد فأمسك بي
وامسكت به وأخذنا نمد شمعتينا الى الرف كأنهما سلاحان ندفع بهما عنا شر
ذلك العفريت حتى اذ اقتربنا منه لمحنا من فوقه شيئاً أحمر على شكل علبة
اسطوانية نخطر لي أن أتناولها وأنا مع ذلك ارتجف فاذا هي وعاء من البللور
مكسو بقماش أحمر اللون علاه تراب غزير . وقد رأيت في أحد جوانبه
ثقباً بسعة المليم فأدركت عند ذلك سر الشعاع لانه لم يكن غير ضوء الشموع
ينعكس فيه ثم يرتد اليها

ولكن كم كانت دهشتي حين نزعنت عن الوعاء ذلك الكيس لاني
ابصرت به سائلاً كالماء يسمح فيه شيء اشبه بلعبة بشرية من المطاط وما كانت
غير جنين في الشهر الرابع او الخامس لأن شعر رأسه كان أثره ظاهراً
ولان اظافره كانت على شكل لطمع من اغشية بيضاء . والجنين في مثل هذا

الشهر يكون له قلب تسمع امه دقاته على رأي الاطباء وله حق الارث على رأي الفقهاء .

ولسكن بم نفس وجود هذا الجنين في ذلك المكان ؟
أ كان الساكن في الدار مولدة او طيباً . أم هذا الجنين ولد سيدة
حرمت لذة البنين فلما اجهضت به أودعته هذا المكان لمعزته عندها . أم هو
ولد غير شرعي فأعد له هذا القبر البللوري وقد كان رباط قلبين
وثمرة حبين

نعم كانت كل هذه الخواطر تمر برأسي وتتمثل لعيني وانا حيران
لا اهتدي حتى وقع بصري على قصاصة من الورق غائرة في التراب عند
قدمي فلما تناولتها اذا بها خطاب حوى هذه الكلمات !
عزيزتي

لقد اخلفت اليوم معك موعدتي وأنا اقدر ما سيكون عليه
موقفك عند الساعة التي أعدت ان تنتظريني فيها فانك بدلا من ان تريني
مقبلا عليك عندها لا تجدني مني غير هذه السطور . وكم ستذرفين لديها من
سخين الدمع وتصددين من دفين الزفرات الحارة ولكن لعل شيء حدا
ونهاية يا عزيزتي فهل أخذت امانا على الايام ان مثل هذا الحب يدوم الى
ما شاء الله .

على اننا ما اجتمعنا هنا كل تلك الايام التي كانت شفتاك عندها تسقياني
من شراب الحب الشهوي الا ولي من قسوة اهلي دافع كالذي كان لك من
قسوة اهلك وقد أرادوا ان يزوجوك من ابن عمك كما أراد اهلي ان يزوجوني
بأبنة عمي وما كنت لأحبها ولا كنت لتحبني

اما الآن فقد هددوني بأني اذا لم اكن عند النصيب الذي ارادوه لي
اخرجوني من الوقف وحرموني من كل شيء وتبرأوا مني وتخلوا عني وانت
تعلمين أنهم ارتكبا على تلك الثروة اهلوا تربيتي وفرطوا في تعليمي حتى كنت
استغني بعلمي عنهم فأحيا معك حياة حرة مستقلة

وأني ليخيل الي الآن انك حين تقع عينك على هذه الكلمات تمطريني
صديبا من اللعنات وترمينني بالقلب وخيانة العهد

ولكنك على كل حال التي جررتني الى هذا الموقف معك وما كنت
لأعرفك ولا كان يخطر ببالي أمرك فاذا كرى اول يوم كنت فيه تحت
نافذتك انتظر الترام فلما وقع نظرك عليّ أشرت اشارة فهمت منها ان
انتظرك فانتظرت. وهكذا لم تمض عشر دقائق حتى خرجت فاتبعتك واخيراً
جمعتي واياك عربة قضينا بها في طريق الاهرام ساعتين من اشهى الساعات
بين عليل الهواء وغيليل الهوى

ولعلك لا تسيئين الظن بي بعد ذلك الى حد ان تحملي موقفي معك
اليوم على محاولتي التخلص من تبعة الجنين الذي تضمنه احشاؤك .
ومع ذلك فانه حديث يمكنك ان تتخلصي منه او اذا وضعت ان تودعيه
بعض الملاجيء .

واخيراً اقسم لك اني لولا ما ذكرت لك من أمر أهلي لما تركتك
وانت صورة من صور اللطف والدعة وخفة الروح فاصفحي عني واسدلي
ستار المغفرة على ذلك الماضي ...

أمضاء

وكان صديقي في خلال ذلك يدور في المنزل يتفقدده وقد زال عنه الخوف
حتى اذا عاد سألتني عما في تلك الرسالة فدفعت بها اليه وانا أفكر في ماحوته
وفيا أصبحنا اليه من أمور الاخلاق وامثال هذه الحادثة كثير حتى كانت من
اكبر الاسباب لانشاء تلك الملاجيء

على ان الجنين كان لا يزال في يدي فنظرت اليه نظرة انحدر على أثرها
دمعي . وما خطر لي أن أمه تعمدت ان تتخلص منه ولكنها تغير مزاجها
على اثر ذلك الخطاب واضطربت نفسها فاجهضت به رغماً منها وما كانت
نتظر من حبيب قلبها مثل تلك المفاجأة القاتلة حتى فركت تلك الرسالة
باصابعها المتخشبة

ولقد انحدر دمعي على أثر تلك النظرة لأن هذا المخلوق الصغير ما
اجترح معصية ولا ارتكب ذنباً حتى يحرم من نعيم الحياة
ولقد خيل الي أنه لبث طويلاً في ظلام ذلك الركن المقفر
وقد قضى الحظ الشقي أن يلف في قساطر من ظلمات الفناء الابدي .

نعم لبث كل ذلك الزمن في مكانه هادئاً ساكناً صامتاً كأنه حرز من
احراز المصريين القدماء لا يخيفه ظلام هذا الركن ولا فراغ تلك الدار لانه
لم يعد له فؤاد يتأثر بمشاعر الألم او السرور

وعند ذلك رفعته الى عيني مرة أخرى فاذا بعينيه الصغيرتين مفتوحتين
وفراغ فمه باديا بين شفقيه فقلت لنفسي يا الله ما الذي تنتظره هاتان العينان
وقد فر منهما النور وما الذي يلقيه على سمع الزمان ذلك الفم وقد عجم
لسان كليهما السكوت

ثم لو ان يد الصدفة لم تصل الى انقاسه اما كان الآن في الرابعة او

الخامسة من عمره يملأ فراغ هذه الدار صياحاً وحركة ويملاً عين أمه
سروراً ونوراً وكانت عيناه الهادئتان الذابلتان تنتقلان بين ضوء الشمس
الذهبي ونور القمر الفضي ولكنه ما كان مع هذا يفلت من قسوة المجتمع
واحتقار الناس لأنه ولد غير شرعي فيهم على وجهه بائساً شريداً في حين أخوه
الشرعي ... مدلل منعم

وإذا كانت أمه القت به في الظلام عند مفارق الطرق وكان من حظه
أن يؤخذ به إلى بعض الملاجيء فهل كان يجد عندها ذلك الشدي الذي
يجري الخنو في لبنه وذلك الصدر الذي غرست الطبيعة فيه حب الأم وشفقتها
وهو بعد ذلك إذا شب يشعر دائماً بأنه ينقصه شيء هو أبواه ...

لذلك عندما انصرفنا اشفقت على هذا الجنين وما طلب أن يخرج إلى
نور هذه الحياة أو ظلمتها فأخذته معي وأنا في الطريق أضمه إلى صدري
كأنني أضمه ولدي وهو في قبره الشفيف هادئ منقطع عن هذا العالم وكأن
عينيه تنظر إليه نظرة متهمكم ساخر

ولما بلغت منزلي كان التعب قد فككني وأنهكني فوضعتته على مائدة
قريبة من سريري ولكني ما كان يملكني النوم حتى أخذت اسمع في حلمي
صراخاً ضعيفاً فالتفت إلى جهة فإذا به قد وثب إلى الأرض من وعائه وهو
يعدو ومن خلفه كف غليظة تحاول أن تحتطفه وعند ذلك انتهت مذعوراً
وبدلاً من أراه على تلك المائدة ابصرت بالوعاء مهشماً فانحنيت اقتش عنه
ولكني وجدت تحت سريري قطعاً غليظاً كانت لا تزال في فيه إحدى قدميه
ومن ذلك اليوم وأنا ارتعب لأنني كلما تلاقى نظري بذلك القط
شعرت بذلك الشعاع المخيف يخرج من عينيه ...

الراهب^(١)

خطر لي مرة ان اقصد مع بعض الرفاق ذلك التل القديم الذي تكسوه
الاشجار الباسقه وسط السهل القسيح بين (كان) (وناول) لرى
ذلك الشيخ المتعبد

وعند عودتنا تجاذبنا احاديث اولئك الزهاد المنقطعين عن عباد الله وعن
بيوته وكانوا عديدين في الزمن الغابر

وبينما نحن نحاول تكشف خفايا ما يرتبط بذلك من الاسباب وطبيعة
الاحزان والهموم التي تدفعهم الى اختيار هذه العزلة صاح احدنا : لقد
عرفت من هذه الطائفة رجلا وأمرأة .

اما المرأة فلا تزال على قيد الحياة تسكن مع خادمة لها قمة جبل مقفر
على مسافة عشرين كيلو متراً من المدينة . قصدها يوماً فدهشت لأدبها
ووداعتها ولكنني لا أذكر من أمرها شيئاً . اما الرجل فأليك حديثه
الغريب المرعب :

اقصدوا مرة جبل الثعابين تجدوا عنده صومعة قديمة يعيش فيها هذا
الراهب من اثنتي عشرة سنة

ولقد كنت سمعت به فتأقت نفسي اليه ولذلك قمت على فرس في
صبيحة يوم من ايام شهر مارس فبلغت نزلاً تركت عنده مطيتي ثم اخذت
اتسلق ذلك التل المخروطي ولا يقل ارتفاعه عن مئتي متر وقد كسسته
الحشائش ثوباً سندسيا زاهياً .

اما الارض فخرية ينزلق عليها الحصى طويلا كأنه حيات تظهر
وتختفي في العشب حتى سمي جبل الثعابين
وقد ترى الزواحف حقيقة تخرج في بعض الايام من بين قدميك
وأنت في صعودك تلفحك حرارة الشمس . وهي كثيرة تعترض الصاعد في
سيره ولاسكن لا تؤذيه

ولما بلغت القمة ظهرت لي حيطان الصومعة على مقربة منها رجل جالس
فوق حجر وهو لا يتجاوز الخامسة والاربعين من العمر اسود اللحية وان
كان شعر رأسه قد ابيض وكان على نخذه هرة يداعبها
وبعد ان درت حول المكان وقد سد جانب منه بفروع الاغصان
والقش والحشائش والحص ظهرت الى جانب ذلك الشيخ
اما منظر الطبيعة من تلك الجهة فجميل يملأ العين اذ كان على يميني جبل
الاسترل بقممه المتشعبة ثم البحر المترامي الاطراف وهو يمتد الى سواحل
ايطاليا البعيدة ورؤوسه العديدة مواجهة لجزر (ليرين) التي لاستوائها
وخضرتها كانت تحكي أبسطة طافية فوق سطح الماء وقد قام عند طرفها
القريب قصر ذو بروج مستننة تنطحها الامواج .

اما الشاطئ الذي يتحكم فيه هذا القصر فمكسو بالعشب الاخضر وقد
قامت فوق اطرافه البعيدة كبيض لا يحصى عديدة سلسلة لا تنتهي من
القرى والمنازل الصغيرة البيضاء وهي تطل من بين الاشجار والى جانبها جبال
الالب التي علاها الثلج فلاح كقلنسوة كبيرة من القطن المندوف
كان المنظر بلا ريب انيقا جميلا ولكن الرجل كان يجده مملا وهو لا يرى

سواه كل يوم

وعلى كل حال فقد سرني انه رجل يفهم ويشعر ولكني مع ذلك لم
أطل بمقامي معه في ذلك اليوم مكتفياً باستطلاع شكل وحشيته ومبلغ تهوره
قائلاً بما وصلت اليه وهو معاشرته الناس وقد كثرت شكوكة وتزاحمت
عليه أوهامه فكره نفسه كما كره غيره ولذلك غادرته بعد نصف ساعة إلا اني
زرتة بعد اسبوع ثم في الاسبوع الذي يليه وهكذا حتى اصبحنا خليلين

وقد خطر لي مساء يوم من الأيام ان آخذ معي طعاماً ونبيداً واقصده
وكانت ليلة من ليالي الجنوب عاطرة وقد اشتهرت تلك البلاد بالزهور كما
اشتهرت بلاد الشمال بالقمح ولذلك كثرت فيها مصانع الاعطار

وكانت ليلة من تلك الليالي هب النسيم العليل فيها يحمل في أردانه
عبير اشجار البرتقال الكثيرة وقد ملأت الحقائق وأطراف الوديان. ذلك
النسيم العطر الذي لا تشمه نفس الا اضطربت وترنحت حتى انها لتعيد الى
الشيوخ نشوة الصبا وذكرى الحب

ولقد استقبلني صديقي بفرح بادٍ ولم يمتنع عن مقاسمتي طعامي وقد
ناولته كأساً من النبيذ وكان قد هجره فدبت فيه النشوة واخذ يشرح لي
شيئاً من ماضيه فعلمت انه من سكان باريس وقد عاش فيها اعزب فسألته
بجأة: اذن ما الذي رمى بك الى هذا المكان المنقطع؟ فقال:

لأن الحياة صدمتني صدمة لا اظن ان غيري صدم بمثلها انني لن اخفي
عنك مصابي فربما عذرتني فيه وخففت من حمله الثقيل عني. نعم انني كتمته
على كل الناس ولكنني اذكره لك الآن لا عرف كيف يكون حكم
غيري علي بسببه

لقد نشأت في باريس وتعلمت فيها وانا ارتع في ثروة خلفها لي أقارب

تكفيني لا عيش عيشة شاب عزب سعيد

ولقد عكفت على الملاذ من صباي اذ كنت حراً وبغير أهل ففقدت
النية على عدم الزواج وهكذا كنت أقضي ثلاثة أشهر مع واحدة وستة
مع أخرى وسنة وحدي ولكن بغير أن استغني مع ذلك عن التسقط على
بعض الفتيات

هذه الحياة على بساطتها وخلوها من كل معنى كانت تلائم مزاجي
المطبوع على حب التنقل فكنت أقضي ساعاتي في الطرق ودور التمثيل
والمشارب مع أن لي منزلاً جميلاً

نعم كنت كغيري من الذين يرون في باريس بحراً عظيماً فيستركون
أنفسهم تطفو على سطحه كسدادات الفلين
يرون في جدران باريس جدران العالم كله فلا يهتمون بشيء ولا تنصرف
أُميالهم إلى شيء

على مثل ذلك انقضت حياتي من العشرين إلى الأربعين بطيئة سريعة
في آن واحد بغير أن يتخللها من الحوادث ما يلفت النظر إليها
نعم ما أسرع كر السنين في باريس على حالة واحدة وهي تولي من خلفنا
غير تاركة في نفوسنا ذكرى

تلك السنين الزاهية الفارغة الطويلة القصيرة كانت تمر والعزب فيها
لا هم له إلا أن يشرب ويأكل ويضحك لغير سبب وشفتاه مندفعتان إلى كل
مالد وطاب وبينما هو شاب اذا به شيخ وهو مع ذلك لم يعربد بقدر ما عربد
سواه غير مرتبط بأحد ولا مستقر بمكان وحيداً بعيداً عن الأهل والرفاق
والزوجة والأولاد

على مثل هذا بلغت أنا أيضاً سن الأربعين بغير أن أشعر بخطري أن
احتفل باليوم الذي بلغت فيه هذه السن ولكني لم أر لذلك خيراً من غذاء طيب
في مطعم شهير وحيداً بطبيعة الحال .

ولقد ترددت فيما أفعله بعد ذلك ولكن خطري أن أقصد بعض
الملاعب ثم مالت نفسي للحجج إلى الحي اللاتيني الذي طالما آواني حين كنت
أدرس الحقوق ثم دخلت على غير قصد محلاً من محال الجعة خادماً فتيات
وكانت الفتاة المخصصة لمائدتي صبية جميلة ضاحكة السن فعرضت عليها
أن تشرب معي فلبت وهي تنظر إليّ بتلك النظرات التي اعتادتها عيناها مفكرة
طبعاً في أخلاق ذلك الرجل الذي جمعها به الصدفة

كانت فتاة بيضاء موردة اللون صبوحة عبلة فأخذت أتقخ فيها من
روح مداعبتي وغزلي ثم خطرت لي فجأة أن آخذها معي وحجتي دائماً
ذلك الاحتفال

ويظهر أنني كنت موفقاً لأنها لم يكن لها عمل مستديم من اسبوعين
كما ذكرت لي ولذلك وعدتني بالاجتماع بي في مطعم (الهول) بعد أن تفرغ
من عملها

ولكنني خشيت أن تتخلف عني فلبثت انتظرها وكلما انتقلت من مائدة
إلى أخرى فكرت في هل ارتبط معها بعقد لزمن جديد

ولكن معذرة يا صاحبي في كل هذا البيان الذي ربما كان بعيداً عن
مواطن الادب لأن الذين لم يذوقوا طعم الحب الصحيح يسقطون على مثل
أولئك النسوة كما يسقطون عند الجزارين على ضلع فلا ينصرف همهم على

كل حال الا الى نوع اللحم

ولقد كنت حريصاً على كرامة منزلي فرافقتها الى منزلها وهو منزل ضيق في الطابق الخامس يناسب مثلها من القتيات وهو على بساطته غير قذر في هذا المسكن قضيت ساعتين طويلتين سعيدتين مع هذه الفتاة التي تسيل لطفاً ورشاقة وأدباً

وبعد ان أخذت منها موعداً ثانياً وأنا متهيئ للرحيل اقتربت من المائدة لأضع عليها تذكراً أجرت به العادة فلاح لي فوقها ساعة ذات رقص وآنية زهر وصورتان احدهما قديمة وهي من ذلك النوع المأخوذ فوق الزجاج على طريقة (داجير).

ولقد انخبت بطريق المصادفة على تلك الصورة ولكن سرعان ما اختلط عليّ عقلي لاني رأيت أول صورة لي وأنا بالحي اللاتيني نعم كانت صورتني بعينها فملكني الضحك لغرابة الامر ومفاجأته ولما سألتها من هذا الرجل قالت أبي... الذي لا أعرفه وقد تركت لي أمي صورته وأوصتني بالمحافظة عليها فرجما كان لي عوناً يوماً من الايام... ثم ترددت قليلاً ولكنها أخذت تضحك قائلة انها لا تظنه يعود ليعترف بأنها ابنته...!

ولا تسلم عن قلبي وقتئذ وقد أخذ يدق دقات متوالية سريعة كأنه فرس جامحة فأعدت الصورة الى مكانها ووضعت معها وأنا ذاهل ورقتين بمائة فرنك كاتنا معي ثم أسرع الى السلم وأنا اصيح الى مابعد. الى الملتقى وهي تجميني الثلاثاء المقبل لا تنس وهكذا أخذت اتلمس درجات السلم المظلم واحدة فواحدة لا أنزل

وكانت السماء ممطرة فسرت بخطي واسعة اقصد اي شارع يصادفني
وانا اسير على غير هدى هائماً على وجهي فاقد الصواب مفكك الخاطر
اجهد نفسي في نبش ما اندفن من حوادث الماضي وانا لا اظن ما صادفني
الا حلماً ولكني تذكرت فجأة فتاة كانت كتبت لي قبل قطع علاقتي معها
تقول انها حبلت مني وذكرت انني مزقت رسالتها ثم انسدل ستار النسيان
وربما كان يجب ان ارى الصورة الاخرى ولكنني ما كنت على كل
حال لا أعرفها وقد كانت على ما ظهر لي صورة امرأة عجوز

وبينما تتناولني هذه الخواطر وجدت نفسي عند شاطئ النهر وكان
هناك مقعد جلست والسماء لا تزال تهطل والناس يمرون تحت مظلاتهم
فانكشفت عندئذ الحياة لعيني وتجلت امامي قبيحة مرذولة مملوءة بالشروور
والآثام والمساويء والقضائح والشقاء. ثم عادت الى خاطري تلك الصورة
فصحت ياويلي اتكون هذه الفتاة ابنتي. ايجوز أن اجلس منها مجلسي من
خليلتي وهي ولدي وانا ابوها وهل هذه باريس الواسعة المظلمة الكئيبة
الملطخة بالاولحاح وما حوته من تلك المنازل الملائى بمثل هذه المخزيات .
بالزنا والدعارة والاولاد المنهويين المنصوبين

ثم تذكرت تلك القناطر المأمومة بالخنونة والفجار ولكنني على غير
قصد وبلا علم ارتكبت من المعصية فوق ما يرتكبه كل أولئك الناس لانني
اقتربت ابنتي

وعند ذلك كدت أسقط في النهر وقد شارفت على الجنون فاخذت
أهيم في الطرقات الى الصباح حيث عدت الى منزلي أفكر في أمري
وبعد أن استوثقت من صحة ما روته لي تلك الفتاة وهبتها كل ثروتي

غير أن تعلم انها مني ثم آليت على نفسي أن افر من وجه هذا العالم وأنقطع
الى آخر أيامي فوق هذا الجبل

رد على كتاب (١)

أخي الصغير

لقد قرأت رسالتك بأمعان بل لقد مرت على سمعي وعيني ثلاث
مرات مرة حين تلوتها عليّ ومرتين راجعتها فيهما بعد ان ارسلت بها الي .
ولست أرى على كل حال ان اخوض في كل ما تضمنته من الابحاث
لأن منها ما هو جدير بالاعجاب ومنها ما هو جدير ايضاً بالمناقشة . ولكنني
اردت ان اكتب لك عن السبب الذي دفع بك الى كل هذا فقد رأيتك في
رسالتك رياضياً منطقياً تدخل الى نظرياتك من باب الارقام والعقل والوزن
فتبوب ما تريد ان تذكر وتجعل له فصولاً واقساماً وفروعاً وحواشي غير
انك بعد ذلك انتقلت من خشونة التفهم الى نعومة الارشاد حتى انتهى بك
المطاف الى اليأس فاضطرت ان تتناول اخيراً تلك العقدة عقدة العقد في
رأيك فظهرت من خلال كل هذا الصورة الحقيقية التي اصبحت لك الآن
ومن الغريب انك عند هذه الصورة نسيت غيرها من باقي الصور
التي ذكرتها من قبل ولم يبق في نفسك الا شيء واحد هو نفسك ولعلني
لم اخطيء لانك وضعت حب النفس في اول القائمة من تشريعك الجديد .

(١) كتب لي بعض أصدقائي في شأن سيدة من المحصنات فرأيت أن أرصد

هنا ردي عليه لتعلقه بموضوع هذا الكتاب

على اننى لا افهم لماذا انت متشبث بالموت والى جانبك امك الكريمة
التي تقول انك تحبها وتوازن بين حبها وبين حب تلك الاخرى ...
اذا كنت حقيقة تعبد امك فاشفق عليها ودع هذيان هذه الحمى الخطيرة
او اشفق على نفسك من طريق هذا الاشفاق ما دام ان حب النفس قد
غمرك جوه .

ان غمى الحب يا اخي هو الذى طوح بك الى هذا الحد المحفوف
بالمسكاره ولم يكن ايضا غير حب النفس وهو لا يقوم اساسه الا على الاثره
التي لا يدفعها حكم العقل وانت في مثل هذه الحال . انه ليس من السهل ان
تكون هدفا لسهمين من قلبك وحبك نفسك ويكون لرجاحة العقل اثر فيك
هذا هو الذى زعزعك وقضى على سكينتك وشرد عقلك وفكك
خوابك وغشى على بصيرتك وبصرك فلم تعد تسمع او ترى والحب يعمي
ويصم على اني اخطأت فانك لا زلت تسمع ولكن شيئا واحداً هو
صوتها او صوت استغاثتها كما ذكرت

ولو انك كنت بعيداً عن الغرض منزهاً عن الغاية لحدث لك موقعك
معه ولما وجهت اليك شيئاً من عتي لا ناك عندئذ تكون حقيقة من الناصحين
المخلصين ولكنك تعطف عليها وانت تتوجع لنفسك وتطلب الرحمة لها
وانت تشكو ما يقاسيه قلبك من العذاب فانظر اذن كيف اصبح حب النفس
يلهب مشاعرك بعد ان تغفل حبها فيك .

اما اذا كنت حين رضيت نفسك حكيم اردت ان اقف معك ومعها
موقف الحكم المنصف فاعلم انك لو لم تتحكم فيك ثورة الهوى لهداك عقلك
الزين ونظرك البعيد وفهمك الدقيق في هذا الموقف الذي وقفته ولكنك

اصبحت منه في لجة سحيقة تحاول ان تخرج منها آمناً على نفسك مطمئناً على
تلك اللؤلؤة ولو بأحقر الاسباب فأين اهلك واين وطنك واين الانسانية
الذين وقفت نفسك عليهم وكرست حياتك لاسعادهم كما ذكرت ؟ انك
بعتهم جميعاً بشيء واحد هو تلك اللؤلؤة التي سبقك اليها صياد من قبلك بل
انك قد هان عليك ان تبيعهم لتشتري بضمنهم حياتك أنت وهكذا أينما
توجهت لا أراني أقف بك الا عند حب النفس

ومن الغريب أن تضع امام اعيني صورة موحشة من زوجها يخيل الى
عندها أنه وحش في صورة انسان ومع ذلك اذا صحت هذه الصورة فمالك
بهذا الرجل وبامرأته ولم تتدخل في شأنه معها وشأنها معه

واذا كانت حقيقة شقية به فهل هي وحدها الشقية تحت سماء هذا
الكون . أليس في هذا العالم الفسيح غيرها من شقاء ثم فوق شقائها واذن فلم
انصرف عنهم اليها ولم لم تحفل بهم وحفلت بها ؟ لانك تحبها ليس الا .

انك في هذا الموقف تحسد ذلك الرجل على نعمة زواجه منها . ومع
ذلك فمن الناس من لا يستحقون السعادة وهم مغمورون بها ومن يستحقونها
وهم بعيدون كل البعد عنها والله في ذلك حكمة لانني اعتقد دائماً أن ما يقع في
هذا الكون يقع بنظام دقيق غريب يجعلني أو من بأن هناك قوة عامة تسيره
حتى في أدق الامور

انما الغيرة يا أخي هي التي ساقتك الى الرثاء لها والبكاء عليها ولقد بلغت
الغيرة يوماً من خليل لزوجها أنه لما دخل عليها ووجدتها مع زوجها ... قتله
لأنه كان متلبساً بالزوجية !

اولى لك أذن ان توصل قلبك من هذه الناحية ودع الناس لشؤونهم

يصرفونها على الوجه الذي يروونه صالحاً على انك انما تعذب نفسك بامرأة
اصبحت يتعلق بها حق لغيرك . وسواء أ كان هذا الحق عادلاً أم غير عادل
فليس هذا من شأنك ان تبحثه لأنك لم تكن قاضياً في الناس

وهكذا أنت تفرس حبك في ارض لا تنبت فأولى لك ان تحول بذوره
الى ارض أخرى اقدر على الانبات

ولعل حجتك الباقية أنها هي أيضاً تحبك . ولكنكما بمثل هذا تتساويان
في الخطأ لأنك تمد عينك الى محصنة ولأنها تخون زوجها . على أنها حتى لو
احبتك فما كان بلازم أن تشجعها وانت تعلم أنها غير فارغة

ثم من يدري فان الاقدار التي وضعتها في طريق هذه العاصفة فلوتها
على زوجها قد تعود فتطرد هذه العاصفة من طريقها وإذن فلم تنفخ فيها أنت
من أنفاس حواسك فتزيدها هبوباً .

ان في البلد يا أخي من النساء والفتيات الحسان ما لا يحصى عديده
فاتخذ لك منهن قسيمة بدلا من هذه التي لا تملكها كفك

ولا اختم سطوري قبل ان اقف بك عند موضع من كتابك كنت فيه
اكثر تفككا واضطرابا فلقد قلت أنها لا تحب زوجها وانما تحبك انت . اذا
كان كذلك فلم اذن تبكي . ولماذا لا تدع لزوجها جسمها مادام قلبها لك من
دونه ؟ ولكنك تريد أن تكون كلها لك وما هي الا اثره ظالمة اجتنبها
وتباعد عنها واعمل بما اشرت به عليك تسلم وسترى بعد ذلك انك تخرج
من هذا الاتون المتقد بغير ان تصيبك ناره ...

آراء

لبعض أفاضل الكتاب ^(١)

ان شأن السيدة الشرقية أصبح الآن حديث المجالس والصحف والمجلات حتى ان مجلة الهلال اقترحت على قرائها ان يدلوا برأيهم في سؤالين وضعتهما فيها وهما:

(١) ماذا يحسن ان تستبقي المرأة الشرقية من اخلاقها التقليدية

(٢) ماذا يحسن ان تقتبس من اختها الغربية

ولقد تتبعنا تلك الآراء بشغف شديد لما لهذا البحث من الامة الكبرى؟

في الوقت الحاضر ولذلك نذكرها هنا موجزين

رأي الاستاذ عبد القادر المازني

خلاصة الجواب على السؤال الاول أن تقتنع المرأة بأن بيتها هو ميدان

عملها وان العناية بما فيه وبمن فيه من اقدس وظائفها

وخلاصة الجواب على السؤال الثاني ان تقتبس من اختها الغربية العلم

النافع الذي يؤدي الى صحة اهل بيتها وجلب السرور والسعادة لهم .

وقد قال ان تفصيل هذا الاجمال تكفل به كاتب عصري سويسري

اراد ان يحلل حالة الزوجية التي تسربت الى الجماعات الاوروبية على

أثر الحرب العامة ولذلك فهو يوصي المرأة الغربية باتباع ما هو مفروض على

اقتها الشرقية من حيث العناية ببيتها وقصر الاهتمام عليه . وكأنه يوصي

الشرقية أيضاً بأن تحصل كأقتها الغربية على العلوم الحديثة التي اثبت الاختبار

حسن تأثيرها في تحقيق سعادة العائلة بدلا من التعاليم العتيقة والتقاليد
الرثة الضارة التي ظهر سوء أثرها في سعادة البشر

رد العلامة مستهل

... ونحن نبين هنا ما يجب على الشرقية الاحتفاظ به من رضي الاخلاق

١ - (العفة) .

لأن بلادنا حارة تبلغ فيه الفتاة سن الحلم قبل اختها الغربية ومناخ
بلادها بارد . ولهذا يجب ان تعود من الصغر على العفة ومقت الدنس وان
يتعهدوا غارسوها بالتقوى والعبادة والاعتقاد بالخلود وبما هنالك من ثواب وعقاب

٢ - (الاحتفاظ بمنزلتها)

لقد احست الشرقية حاجتها الى بعض التحجب والى القيام بما يليق
بها من الاعمال

وغرضنا من التحجب أن لا يكون اختلاطها بالرجل بغير قيد حتى
لا يؤثر الاثر السيء في ادبها وكرامتها

ولسنا نريد به أيضاً التحجب المطلق فنحبسها بين اربعة جدران حتى
لا تعرف من العالم الا زوجها وأفراد بيتها ولا من سبب وجودها الا ان
تكون مجرد آلة للهو او لاجراج أولاد للمجتمع فان ذلك يجر عليها كثيراً
من الامراض

اما بالنسبة لعملها فهو كل عمل يؤدي الى تقويم صحتها ويقوي عنصرها
الاثوي ويشغلها عن كثرة الخروج

٣ - (عدم التبرج)

عرفت الشرقية من قديم أنها قليلة التبرج فما كانت تعرف اطوار الزي الحالي

الموجب للأسراف وضياع الزمن في البيت مما جرّه اختلاط بناتنا بالفتيات
الغريبات وهو بعيد عن محاسن التمدن

ويحسن ان تقتبس عن اختها الغريبة لغة غير لغتها تمكنها من الالمام بالعلوم
الحديثة والصنائع النافعة

والخلاصة ان تكون مستنيرة عفيفة محتفظة بمنزلتها غير متبرجة

رأي الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق :

قد يكون الحجاب بآثاره هو الشيء الباقي الذي يميز السيدة الشرقية عن
اختها الغريبة وغرضي منه عيشة العزلة القديمة بعيدة عن كل ما يعرضها
لأعين الرجال

ولكنه ولد في نفسها الشعور بالعجز مما ورثها ضعف النفس
والجسم وجعلها بحاجة الى الحماية

والاثر الثاني هو نظرها الى الحياة المنزلية نظراً سامياً يورثها شغفاً بهذه
الحياة وتكاليفها

اما بالنسبة للجانب الآخر فكم نود لو انها يهذبها العلم والتربية الصحيحة
فالمرأة التي تجمع بين التقاليد الشرقية من حيث تقديس الحياة المنزلية وبين ما عند
الغربية من حسن الذوق والفهم والحرية هي التي نتمناها

رأي الدكتور فيليب حتى

من رأي الدكتور أن يرجع كلا من السؤالين الى مبادئ عامة يمكن
تطبيقها على ما يناسبها من شؤون المرأة في المجتمع وهكذا وضع لنا المبادئ
الثلاثة الآتية :

(المبدأ الاول)

ان المرأة ليست دون الرجل في العقل والروح فمن النساء من برهن
على ذلك امثال زينب الملكة التدمرية وكيلوبطره الداهية المصرية
وجان دارك البطلة الفرنسية وكاترين السياسية الروسية وقرّة العين الشاعرة
الفارسية ومدام كوري العالمة البولونية

(المبدأ الثاني)

هو ان للمرأة شرقية او غربية طابعاً خاصاً كاللطف والعطف والحنان
ودقة التصوير ورقة الشعور والصبر على مباشرة الاعمال الدقيقة مما يؤهلها
الى مشاركة الرجل في عمله ولكن بغير ان تنوب وتنصرف عن الامومة التي هي
تاج اعمالها

(المبدأ الثالث)

ان لها كل الحق في الاستمتاع بالوسائل الحافظة لحياتها والمؤثرة في
نموها وتقدمها

لان هذه المبادئ الثلاث : المساواة العقلية والميزة الشخصية وحق
النمو هي الميزان الذي يجب ان توزن به الواجبات المتعلقة بشئون حياة المرأة
في المنزل وفي المجتمع

ولقد اقتصرنا على ما جاء في هذا الصدد بمجلة الهلال الغراء لضيق
المقام لان هذا الموضوع الهام طرقة ويطرقة كل يوم كثير من الكتاب
والكاتبات نخص منهن الكاتبة القديرة السيدة روزا حداد حرم الكاتب
الاجتماعي المعروف نقولا الحداد في مجلة السيدات والرجال

خاتمة

سبب تشريع تعدد الزوجات . يقظة الحكومة وواجبها

لقد فصلنا في هذه الاوراق كثيراً مما هو واقع من الامور الهادمة
للاخلاق بعد ان زجعنا بالعائلة المصرية الى اول عهدا الذي كان يجري
جريان الماء الصافي وقابلنا بينها فيه وفي العهد الحاضر
واذا كنا قد حاولنا تحليل هذه الامور على مقدار ما وصل اليه جهدنا
من البحث لنصل الى الاسباب التي كان من ورائها تغفل الفساد في نفوس
الكثيرين والكثيرات منا فأتنا مع ذلك لازلنا نحسن اننا لم نحظ بكل
شيء . ولكن حسبنا ان نشعر بلذة القيام بالواجب من حيث القات اهل
الرأي واولى الامر الى هذا الخطر الداهم وهو في اول طريقه
واذا كان اول من تعني بذلك الاسرة المصرية نفسها - لان اصلاح
الانسان من شأنه ان لم يدفعه اليه الواجب العام دفعه اليه واجب مصلحته
قبل كل شيء - ولكنني مع ذلك اخشى أن يكون سلطان التطور الجديد
قد قوي الى حد العجز عنده عن رد شره
على ان النفس الامارة بالسوء لن ينفع فيها الزجر بمقدار ما تؤثر فيها
صرامة الجزاء . ولهذا ارى ان على الحكومة في هذا المقام واجباً يناديها
بالعمل السريع لتدارك هذا الحال .
ويشجعنا في هذا الرجاء انها بدأت بالفعل تهتم لأمر المرأة بالاصلاح

الذي شرعت تدخله في الاحوال الشخصية حتى اصبح للقضاة حق التفريق بين الزوجة وزوجها المحكوم عليه بسجن طويل او لسبب اخر وحق حبس الزوج في النفقة والى غير ذلك

ان من التقاليد والعادات ما لم يرتكز في الاصل الا على سبب خاص. فمثل هذا مما يزول مع الزمن اذا زال حكم ذلك السبب. ومن ذلك تعدد الزوجات فقد كاد يتلاشى سلطانه عند الطبقات الراقية التي اخذت نفوسها تمقته وتنفر منه وكذلك عند باقي الطبقات تقريباً بسبب ما اصابها من سوء الحال وضيق العيش.

وتعدد الزوجات في ذاته مناف اطبيعة مساواة المرأة بالرجل. وضار بالأسرة لأنه سبب مستمر من اسباب النفرة بين الزوجات وبين اولادهن يؤثر في مجموع الامة التي يصبح نصفها يحمل الحق والضعيفة للنصف الآخر. ثم ان كثرة الاولاد موجبة لكثرة التكاليف التي ينوء تحت حملها الزوج من حيث امور المعيشة وشؤون التريبة فيشب سواد الامة فقيراً جاهلاً وهذا فضلاً عما يلحق بأخلاق الزوجات من الفساد

واذا كان تعدد الزوجات مباحاً في صدر الاسلام فلانه على ما ارى كان عادة جاهلية فكان من حسن الرأي عدم مصادمتها دفعة واحدة ولان حالة المسلمين السياسية كانت تقضى به ايضاً وما كانوا وقتئذ الا نقرأ قليلاً :

« تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم الامم يوم القيامة »^(١)

على ان الشريعة لم تكن بغافلة عن تلك المضار التي اسلفناها فلم تشرع تعدد الزوجات من طريق الالزام ولا اوجبت حداً لمن يخالفه فتركت كل زوج حراً في اتباعه اذا آانس من نفسه المقدرة على العدل مع استحالاته :
« ... ولن تعدلوا ... »

ولكنها وجدت أن الاسلام في اول عصره بحاجة الى النسل فتركت الباب مفتوحاً لمن قدر عليه بعد التنبيه الى ذلك القيد .

اما الحجاب فقد كان من اكبر حسنات الاسلام وقد رأى ان كل الخطر في مطلق الاختلاط بين النوعين حتى ان كتاب الافرنج انفسهم نبهوا الى ذلك (راجع قطعتي النار وارحمي السالفتين) بل ان بعضهم حسد المرأة الشرقية على الحجاب وتمنى لو ان الغريبة تقلدها فيه ومنهم ذلك الكاتب السويسري الذي استشهد به الاستاذ عبد القادر المازني عند ما أدلى برأيه في موضوع المرأة الشرقية بالهلال

ومع ذلك فمن يرجع الى المصادر الخاصة بالحجاب^(٢) لا يرى ان الشريعة كانت جامدة بالنسبة له وقد ساوت بين المرأة والرجل كل المساواة

(١) كان عمر رضي الله عنه يقول اني لأتزوج النساء ومالي بهن حاجة وآتيهن ومالي بهن شهوة رجاء ان يخرج الله من ظهري من يكثر به محمد صلى الله عليه وسلم الامم يوم القيامة

(٢) من اراد المزيد في هذه النقطة فليرجع الى تحرير المرأة فقد وفاها فيه

لمرحوم قاسم أمين

واباحت لها التثقل والحركة للتجارة ولمباشرة امورها بنفسها مع الوقار

والتحشم

ولكن الحجاب في الوقت الحاضر اصبح مع الاسف منهوماً على غير
ما قصد منه فان السيدة المصرية صارت لا تخرج لسبب نافع من تلك
الاسباب بل اصبح خروجها غالباً لنقل ثروتها او تزوجها الى حوانيت
التجار في مالا يعود بأي نفع على البيت وهي في كل هذه الحركات ترى
انها ما خلقت الا لتكون فتنة متنقلة في الطرقات والميادين والاسواق
والناس من لحم يحن ومن دم وعواطف عند الشباب خفاف
وهنا يجب ان نسمع صوت الحكومة ازاء هذه الحالة التي اصبحت اذا
لم يخطيء ظني من اكثر اسباب الفساد المنتشر الآن

كلمة أخيرة واجب التشريع

من منذ ٥٦ سنة اهتمت الحكومة في تشريعها لأمر الآداب العامة من طريقين : أحدهما خاص لأنه قاصر على البغايا والثاني عام لأنه يتناول عموم الأفراد تقريباً . فوضعت لائحة العاهرات في سنة ١٨٦٩ كما وضعت قيودا في قانون العقوبات لصيانة الآداب العامة منها ما هو مرصود في باب المخالفات ومنها ما هو معتبر من غيرها كتهتك العرض والزنا وإذا رجعنا الى هذه النصوص اغتبطنا كل الاغتباط لأنها تدل على ان المشرع كان مطمئناً على كمال السيدات وكرامتهن ففكر في الضرب على كل يد مفسدة تمتد الى سياج هذه الكرامة سواء من جهة البغايا او من جهة فريق من الرجال والفتيان المفسودي الأخلاق حتى أنه في ٤ فبراير سنة ١٩٠٤ فكر في وضع عقوبة شديدة لتهتك العرض وأفساد الأخلاق ووضع فوق ذلك نصاً جديداً لمعاقبة من يدخل منزلاً ويرتكب في حضرة امرأة فعلاً اذا وقع علانية عدّ فعلاً فاضحاً مخلاً بالحياء هكذا كان المشرع ينظر عند تشريعه عن السيدة المصرية الى جهة واحدة هي المؤثرات في كمالها وكرامتها . ولكن مما يؤسف له أن الحال تغيرت واصبح أمر المحافظة على الآداب واجبا من جميع النواحي وتنص لائحة العاهرات على منع اتصال بيوت العاهرات بغيرها من بيوت الناس وعلى معاقبة من تنتهك منهن حرمة الآداب علناً كما حظرت

(م-١٩)

عليهن الوقوف على ابواب بيوتهن ونوافذها . فاذا كان يطلب ممن دفعهن
شقاء الحظ الى الاتجار بعفافهن أن يحافظن على حرمة الآداب فكم كان هذا
أولى بالسيدات الكريمات

أن الآداب أصبحت تنتهك حرمتها لسوء الحظ في غير تلك البيوت
وفي الطرق العامة بسبب ما قام في أذهان الكثير من السيدات من أن
التفاني في الزينة والتبرج وما يتبع ذلك من حركات الرشاقة واساليب الخلاعة
امر قضت به المدنية الحديثة على ما يفهم . وهكذا أصبح الفتیان بحاجة الى
الحيولة بينهم وبين هذه المظاهر والحركات والاساليب لأنها مثيرة للحواس
مغرية بالفساد

لذلك أصبحت الحاجة ماسة الى تحريك الحكومة حركة اخرى لتسد
هذا الفراغ الجديد بقيود جديدة تحول دون تأثير ما ذكر في مشاعر الناس
لأن الفتنة الآن أصبحت في السواعد المكشوفة والوجوه المصبوغة
والصدور العارية والسيقان الظاهرة وربما كان من واجبها أيضاً وضع قانون
للعزوبة فان ترك الفتیان أحراراً من حيث اقبالهم على الزواج او عدم اقبالهم
عليه من اكبر الاخطار اذ لا يعقل أن يفرض القانون عقوبة لا تُفه المخالفات
ولو مع حسن النية كالاغتسال في المدن والسكر البين ولا يهتم لمثل تلك
الامور التي لا يختلف منا اثنان في خطرها

ولا شك أن المرأة اذا وقفت عند حد الحشمة في زينتها وحركاتها
وأمسك الشبان عن معاكستها بالانصراف الى الزواج وخشية العقوبة
أمن كلاهما مزالق الفساد

اننا ما كنا نسمع فيما مضى بحوادث الزنا واللقطاء الا نادراً جداً

فأصبحنا الآن في زمن صارت فيه هذه الحوادث عادية مألوقة لكثرتها
وتكرارها حتى ازدحمت المحاكم بقضايا هذا النوع وتعددت الملاجي ولا تتشال
اللقطاء من الطرق . ولا يمكن ان يكون هناك مقياس على مبلغ انتشار
الفساد أصبح من هذا المقياس

وربما كان من متمات هذا البحث ان تعيد الحكومة النظر فيما وضعته
من النصوص خاصا بالزنا على وجه يكفل القضاء عليه . ان قانون العقوبات
يفرض في اسقاط المرأة الحامل مثلاً عقوبة قد تصيبها اذا اشتركت فيه
وهي عقوبة تتساوى فيها الزوجة غير الزانية والمرأة الزانية مع ان عقوبة
هذه كان يجب ان تكون أشد لأنها في الواقع ترتكب جرمين جرم الزنا
وجرم اسقاط الحمل . ولكن القانون لا يعاقب على الزنا الا المحصنة

وهكذا يكفي ان يبلغ الزناة سن الرشد لكي يفتوا من القصاص لان
احترام الحرية الشخصية أمر واجب . . . ولكنه احترام يشجع على الفساد
ويصرف الناس عن الزواج لان هذه الاباحة جعلت الكثيرين يستمرئون
طعم هذه العلاقة فانتشرت حيازة النساء على سبلها المختلفة

على اننا لو رجعنا الى عقوبة الزنا وجدناها متفاوتة بالنسبة للزوجين
فالمرأة تعاقب بالحبس بما لا يقل عن سنتين والرجل يعاقب بما لا يقل عن
سنة اشهر او بالغرامة . ولا افهم معنى لهذا التفريق خصوصاً وان الزوج
هو المهيمن على امرأته القائم عليها وهو اكبر مظهر من مظاهر الزوجية
بل إنه المرأة التي ترى الزوجة نفسها فيها والمثل الذي تقع عينها عليه فكان
أولى بعقوبة تتناسب مع كل هذه الاسباب ولا سيما أن القيود التي اشترطت

بالنسبة له (وهي تكرر الزنا ووقوعه في نفس منزل الزوجية وبامرأة يعدها الزوج لذلك) تعدّ ظروفًا مشددة لا مخففة

على ان هذه القيود نفسها تجعلنا في حل من التساؤل :
ماذا يكون الحكم اذا هتك الزوج عرض صبي بالغ في منزل الزوجية ؟
وماذا يكون الحكم لو ان الزنا بمنزل الزوجية لم يقع الا مرة واحدة ؟
وماذا يكون الحكم أيضاً لو ان الزوج اتخذ الزنا عادة في مكان آخر
غير منزل الزوجية ؟

كل هذه فروض جائزة بل أنها كثيراً ما تتحقق وهي من الخطر بمكان
على عفاف الزوجة . والامتنياز الوحيد الذي خرجت به أن زوجها لو فعل
ذلك وبلغ عنها أهمل تبليغه أو حكم بعدم جواز قبوله . وفي هذه الحالة هل
يقف الأمر عند هذا الحد فيستمر الفجور لأن الزناة من بعض المحصنين
في حمى من نصوص القانون ؟

أن هذه المواد نقلت عن التشريع الغربي نقلاً بغير ان يفكر الشارع
المصري فيما بين الشرق والغرب من التفاوت في الأخلاق والعادات .
وهكذا جعل زمام الدعوى - مجازاة لهذا التشريع - في يد الزوج لحجة
واحدة هي احترام بيت الزوجية والضمّن به من أن يهدم وهو اعتبار
لا يتحقق في الغالب لأن الزوج حين يفاجيء زوجته متلبسة بالزنا يتشرد
صوابه ويعجز عن ضبط نفسه فيندفع الى التبليغ وقد لا تقوم فكرة العفو
في نفسه الا بعد نظر الدعوى او الحكم فيها او الشروع في تنفيذ الحكم
او تنفيذه فعلاً حيث يصبح أمره وأمرها معلوما لجميع الناس .
واما تهدم بناء الاسرة فلا يكون مطلقاً بصدور الحكم على الثاني وانما

يكون بالطلاق الذي يفرق بين الزوجين ويتشتت معه الاولاد . بل أن في
الحكم لزاوجاً حتى لا يتكرر الزنا وحتى لا ينتشر . ومع ذلك فأليست كل
أسرة جزءاً من بناء الأمة العام فلماذا لا يبحث هذا الجزء السقيم حتى تسلم
باقي الاجزاء

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا
ولقد كان الزنا في العصور الخالية معاقبا عليه بالقتل والاحراق والرجم
والجلد

« والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما
رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر



الفهرس

باب	صحيفة	باب	صحيفة
الزواج	٨٠ ✓	مقدمة	٣
تايدس	٨٨	شجاعة الرأي	٧
الحياء	٩٠ ✓	عودة الى الحجاب	١٢ ✓ ✓ valid revolution
الشرف مجرم	٩٢	بين الماضي والحاضر	١٦ ✓
الحب	٩٥	العصر الجديد	٢١
الوداع	٩٨	الذكرى	٢٦
الغيرة	٩٩	الرقص والمراقص	٢٧
خطاب	١٠١	الأنشيد	٣٠
سياسة الزوجة	١٠٤	عدوى الأفكار	٣٥
الاعمى	١٠٩	ارحمي	٣٧
العزوبة	١١٥	النار	٣٩
قبر من البللور	١٢٠	جناية في روسيا	٤٣
الراهب	١٢٦	عدوى الازياء	٦٣
رد على كتاب	١٣٣	الوجد الكاذب	٦٥
آراء	١٣٧	الموامس	٦٨
خاتمة	١٤١	تربية الاخلاق	٧٢ ✓
كلمة أخيرة	١٤٥	كتب الديانة	٧٦ ✓

الخطأ والصواب

الصحيفة	الخطأ	الصواب	السطر
٨	يتقزز	يتقزز	١٣
١٤	ترتد حصتها	تسعى لحصتها	١٦
٢٠	لزوجية	الزوجية	١٢
٢٤	يزهو	يزهى	١٣
٥٩	سكوته	سكونه	١٩
٦٩	أوما	وأما	١٥
٧٢	طفلمها	طفلمها	١٣
٧٢	وجنته	وجنة	١٥
١١٢	بنضيبها	بنغضيبها	٥
١٤٠	تنوب	تنوب عنه	٩

B12125349
T13422443

DIRECTEUR

REDACTEUR

EN CHEF

Selim Cobein

LECAIRE

الأخاء

مجلة علمية تاريخية أدبية روائية مصورة

صاحب المجلة

ورئيس تحريرها

سليم قبيج

مصر

سارت مجلة الاخاء طبقاً لسنة الترقى فتدرجت تدرجاً مطرداً في سبيل التقدم حتى أضحت في أول سنتها الخامسة من المجلات التي حازت رضا قرائها واستحسانهم فجاءتها رسائل الاستحسان والتشجيع من أهل الفضل والنبيل في سائر الأقطار العربية والمهجر واقبل على الاشتراك بها كثيرون ممن يقدرون الأدب والعلم حق قدرهما وكتب كثيرون يقولون كما كتبت جرائد كثيرة « ان مجلة الاخاء هي المجلة الوحيدة التي يطالعها القاري من أولها الى آخرها بدون ملل او سآمة فيتنقل من المقالات العلمية الى الأدبية الى أهم الاختراعات والاكتشافات الى الحركة الأدبية في سائر الاقطار العربية الى رواية وفكاهات ومسابقات وغير ذلك من الشؤون والفنون . والاخاء هي المجلة الوحيدة في الشرق كله التي تستقي موادها من اللغة الروسية فضلاً عما تنقله عن أشهر المجلات الأميركية والانكليزية والفرنسية والاطالية وأخذت في هذا العام تنشر سلسلة مقالات عما كتبه دوزي المستشرق الشهير تحت عنوان « نظرات في تاريخ الاسلام » واندمج في سلك تحريرها فريق من فطاحل الكتاب الذين لا يجارون في مضمار البراعة والبراعة ومع ذلك فهي أرخص المجلات العربية لأن قيمة اشتراكها ٦٠ قرشاً في مصر و ٨٠ في الخارج جربوا واطلبوا عدداً واحداً منها لتتحققوا ذلك وليس الخبر كالعيان

